النظام المقطعي
في العربية بين النظرية والتطبيق
(آية الكرسي أنموذجاً)

إعداد

الدكتور / رمضان السيد رمضان منصور

أستاذ علم اللغة والأصوات المساعد

بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والفنون

بجامعة حائل المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

النظام المقطعي في العربية بين النظرية والتطبيق (آية الكرسي أنموذجاً)

رمضان السيد رمضان منصور
قسم علم اللغة والأصوات ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب والفنون، بجامعة حائل ، المملكة العربية السعودية .
البريد الإلكتروني : r.almansour@uoh.edu.sa

الملخص :

الهدف: تتبع الجذور العميق لمصطلح المقطع الصوتي في التراث اللغوي القديم، رغبة في الكشف عن البنية المقطعية في العربية.

المنهج: وصفي استقرائي تحليلي. **هيكل البحث:** المقدمة – المستخلص – المبحث الأول:**اللغة العربية والنظام المقطعي** المطلب الأول: تحديد مفهوم المقطع (لغة واصطلاحاً) المطلب الثاني: النظام المقطعي في التراث العربي القديم المطلب الثالث: دراسة النظام المقطعي عند بعض الفلاسفة المسلمين أمثال (الفارابي وابن رشد)المبحث الثاني: **المقطع في الدراسات الصوتية الحديثة** المطلب الأول: تعريف المقطع في الدراسات الصوتية الحديثة. المطلب الثاني: أنواع المقاطع الصوتية في اللغة العربية. المطلب الثالث: خصائص النسيج المقطعي لبنية اللغة العربية. المطلب الرابع: أهمية دراسة النظام المقطعي الصوتية.

المبحث الثالث: **دراسة تطبيقية للنظام المقطعي في آية الكرسي المطلب الأول:** بين يدي الآية. المطلب الثاني: التحليل الصوتي والمقطعي لآية الكرسي. المطلب الثالث: الإيقاع في القرآن الكريم. المطلب الرابع: جماليات التشكيل الصوتي المقطعي في آية الكرسي.

الكلمات المفتاحية : النظام المقطعي، العربية ، النظرية والتطبيق ، آية الكرسي ، أنموذجاً)

The Syllabic System in Arabic Between Theory and Application (Ayat Al-Kursi as a Model(

Ramadan Al-Sayed Ramadan Mansour
Department of Linguistics and Phonetics, Department of Arabic Language, College of Arts and Humanities, University of Hail, Kingdom of Saudi Arabia
Email: r.almansour@uoh.edu.sa

Abstract:
Research title: The syllabic system in Arabic between theory and practice, Ayat al-Kursi (a model) Objective: To trace the deep roots of the term syllable in the ancient linguistic heritage, with a desire to reveal the syllabic structure in Arabic. Method: descriptive, inductive and analytical. Structure of the research: Introduction - Abstract - First topic: The Arabic language and the syllabic system. First requirement: Defining the concept of the syllabic (language and terminology). Second requirement: The syllabic system in the ancient Arab heritage. Third requirement: Studying the syllabic system among some Muslim philosophers such as (Al-Farabi and Ibn Rushd) The second topic: The syllable in modern phonetic studies. The first requirement: Defining the syllable in modern phonetic studies. The second requirement: Types of phonetic syllables in the Arabic language. The third requirement: Characteristics of the syllabic structure of the Arabic language structure. The fourth requirement: The importance of studying the phonetic syllabic system. The third topic: An applied study of the syllabic system in Ayat Al-Kursi. The first requirement: In the hands of the verse. The second requirement: Phonetic and syllabic analysis of Ayat al-Kursi. The third requirement: Rhythm in the Holy Qur'an. The fourth requirement: The aesthetics of the syllabic phonetic formation in Ayat al-Kursi.

Keywords: Syllabic system, Arabic, theory and application, Ayat al-Kursi, as a model

مقدمة

الحمد لله حمدًا يكافئ نعمه ويوافي مزيده، شرف العربية فجعلها وعاءً لكتابه الخاتم، والصلاة والسلام التامان الأكملان على خير من نطق بالضاد صلى الله عليه وسلم .

وبعد

يعد المقطع الصوتي أحد الروابط المهمة، بل هو الرابط الأهم من بين الروابط اللفظية التي تجعل العلاقة بين الأصوات ضمن الكلمة، أو بين كلمتين متجاورتين. ونلحظ في كتب علماء العربية القدامى بعض الإشارات المهمة التي يمكن أن نوظفها للدلالة على مفهوم المقطع الصوتي في الدرس اللغوي القديم؛ وأولى تلك الإشارات التي يمكن للباحث استقراء معالمها بوضوح ما قيل في ماهية (مصطلح الحرف) الذي يتبين أنه الصوت اللغوي الذي يحمل قيمة تعبيرية يؤدي تغيرها إلى تغير في المعنى، وثانيهما ما عبر عنه عبقري العربية الفذ ابن جني صراحة خلال تناوله لمصطلح (القطع الصوتي)، وتسميته الحرف مقطعاً، واعتباره له ناتجاً عن قطع الألف في جهاز النطق.

ومهما تكن نقاط الالتقاء والتشابه كبيرة بين مفهوم (القطع الصوتي) ومفهوم (المقطع الصوتي) فإن هناك اختلافاً واضحاً بين المفهومين، وذلك لأن القطع في الصوت ينشأ منه الحرف الذي يقصد به الصوت اللغوي، في حين قد يتكون المقطع من صوت صامت واحد وحركة، أو من صوتين صامتين بينهما حركة، أو من صامت وحركة طويلة...

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث من كونه يحاول تتبع الجذور العميقة لمصطلح (المقطع الصوتي) في التراث اللغوي القديم، وهو إلى ذلك يضع على بساط البحث والنقد ما قاله المحدثون الذين تأثروا بما توصل إليه العلماء الغربيون عنه

وقد حاولنا قدر الوسع أن نجمع تلك الجهود المتعلقة بتعريف المقطع وأنواعه، وعدد تلك الأنواع، وعلاقات الأصوات فيما بينها ضمنه.

أهداف البحث:

عمل البحث على تحقيق الأهداف الآتية:

مفهوم المقطع عند القدماء.

مفهوم المقطع وأنواعه عند المحدثين.

التعريف بأنواع المقاطع الصوتية.

دراسة العلاقات والروابط بين الأصوات في المقاطع.

منهجية البحث:

اقتضت الدراسة أن تسير وفق المنهج الوصفي والاستقرائي التحليلي وذلك للوقوف على بنية النسيج المقطعي بدقة، ومن ثم تحليل وتفسير النام المقطعي في الآية.

أسباب اختيار الدراسة:

يرجع سبب اختيار هذه الدراسة إلى:

١/الرغبة في الكشف عن البنية المقطعية الصوتية في القرآن الكريم.

٢/ تحديد أنواع المقاطع بهدف تحليلها وتفسيرها.

٣/ الوقوف على أبرز جماليات التشكيلات الصوتية وربطها بالدلالة.

٤/إبراز بعض من الوسائل الصوتية التي شكلت الوحدات الصوتية في سور وآي القرآن الكريم.

ولتحقيق ذلك تم اختيار آية الكرسي لتكون (أنموذجاً) للتطبيق.

خطة البحث:

اقتضى هيكل البحث أن يكون في مقدمة وثلاثة مباحث تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره ،وأهدافه ،ومشكلة الدراسة ،ومنهج البحث وخطته.

وقد عنونت للمبحث الأول بعنوان: اللغة العربية والنظام المقطعي واشتمل هذا المبحث على الآتي:

١/تحديد مفهوم المقطع (لغة واصطلاحاً)

٢/النظام المقطعي في التراث العربي القديم

٣/دراسة النظام المقطعي عند بعض الفلاسفة المسلمين أمثال (الفارابي وابن رشد)

وعنونت للمبحث الثاني بعنوان: المقطع في الدراسات الصوتية الحديثة. واشتمل على الآتي:

١/تعريف المقطع في الدراسات الصوتية الحديثة.

٢/أنواع المقاطع الصوتية في اللغة العربية.

٣/خصائص النسيج المقطعي لبنية اللغة العربية.

٤/أهمية دراسة النظام المقطعي الصوتية.

وجاء المبحث الثالث تحت عنوان: دراسة تطبيقية للنظام المقطعي في آية الكرسي واشتمل على الآتي:

١/ بين يدي الآية.

٢/ التحليل الصوتي والمقطعي لآية الكرسي.

٣/ الإيقاع في القرآن الكريم.

٤/ جماليات التشكيل الصوتي المقطعي في آية الكرسي.

٥/ الحركة المقطعية في الآية ودلالاتها.

وأخيراً جاءت الخاتمة مشتملة على أبرز النتائج والتوصيات وتلتها قائمة المصادر والمراجع

والمراجع.

اللغة العربية والنظام المقطعي

بادئ ذي بدء لابد لدارس الأصوات من التعرف على الوحدات الصوتية التي تتكون منها الكلمات، وهذه الوحدات عرفت لدى علماء الأصوات باسم المقاطع الصوتية، ومعرفة المقاطع الصوتية لها أهمية كبيرة من الناحية الصوتية؛ لأنها تمكن الدارس من الوقوف والتعرف على التفعيلات العروضية.

ولقد أصبح من المقرر الآن أنه حينما نتكلم فإننا ننطق بسلسلة من الأصوات المتتابعة، هذه الأصوات تتآلف وتترابط فيما بينها في مجموعات نسميها الكلمات، ثم تنتظم هذه الكلمات في جمل وعبارات يؤديان إلى معنى واضح ومقصود من المتكلم إلى المخاطب، والكلمات بهذا المعنى تكون عبارة عن حزم صوتية مترابطة العناصر لا يمكن تجزئتها صوتياً إلا عندما يلجأ دارسو الأصوات اللغوية إلى دراسة كل صوت منفرداً وإعطائهم وصفاً لخصائصه ومكوناته الصوتية ويكون الهدف من هذه الدراسة تحقيق هدف تعليمي ييسر ويسهل دراسة أصوات اللغة[١]. ويعد المقطع الصوتي أحد عنصري التحليل الفونولوجي الأساسيين[٢]. بل يعد من السمات المشتركة بين لغات البشر وتكونها من مقاطع تتألف من صوامت وحركات.

واللغة العربية تعد من اللغات التي تفرض كثيراً من القيود على تأليف مقاطعها. وقد أكد علامتنا الدكتور كمال بشر – رحمه الله – على أنه من الممكن للمثقف لغوياً أن يدرك المقطع ويتعرف حدوده في النطق، وإن كانت هذه الحدود تغيب عن الكثيرين في الصورة الكتابية، وهناك في التراث اللغوي العالمي بعض المعجمات الجيدة التي تشير إلى هذه الحدود بعلامات خاصة. والملاحظ أن

(١) علم الأصوات برتيل مالمبرج تعريب ودراسة د/عبد الصبور شاهين مكتبة الشباب القاهرة /١٩٨٥ ص ١٣٣.
(٢) علم اللسان / لأنطوان مبيه نهاية كتاب النقد المنهجي عند العرب ص٤٢٩ (د– ت)

المعاجم العربية قديمها وحديثها قد أهملت هذا النهج الذي من شأنه أن يعين المتكلم على تعرف مقاطع الكلمة وحدودها[١].

فالطفل في بداية تعلمه الكلام تظهر عليه بوضوح عملية إبراز الحزم الصوتية أو المجموعات التي ينطق بها دفعة واحدة، فالطفل حين ينطق في بداية عهده " ماما، بابا " أو " ما " دلالة على أمه أو " با " دلالة على والده، فهذا يعنى أن الطفلين طق بمقطع واحد سلس سهل لا يجد صعوبة عند النطق به، ثم يتدرج إلى مقطعين، وعلى أية حالف الطالب في الصفوف الأولى من تعلمه للغة يتعلم المقاطع وتحليل الكلمات، بحيث يستطيع أن يعد على أصابعه كم مقطعاً لفظ لكل كلمة، ولكنه لا يستطيع أن ينطق الكلمة بطريقة مقطعية، بل ينطق الكلمات دفعة واحدة فكل إنسان حين يتكلم لو قمنا بتسجيل كلامه على جهاز تسجيل ثم أعدنا الكلام بعد أن نعمد إلى إبطاء النطق، فسنجد أنه ينطق بكلمات مجزأة أي ينطق بطريقة مقطعية.

وبما أن النظام الصوتي للغة العربية كما وصفه الدكتور غانم قدوري الحمد " مبنى على أساس نظري تجريدي، يصف الأصوات وصفًا دقيقاً متغاضياً عن بعض ما يصيبها من تغيير في سياقاتها النطقية[٢].فإن الدكتور إبراهيم أنيس – رحمه الله –يرى" أن الأصوات اللغوية يتأثر بعضها ببعض في المتصل من الكلام، فحين ينطق المرء نطقاً طبيعياً لا تكلف فيه يمكن أن تؤثر بعض أصوات الكلمة في بعض، كما يمكن أن تؤثر أصوات كلمة في أصوات كلمة أخرى أيضاً، على أن نسبة التأثر تختلف من صوت إلى آخر ..."[٣].

لهذا أجمع أغلب علماء الأصوات على" أن الدراسة الصوتية للأصوات

(١) علم الأصوات د/كمال بشر ص٥٠٤ .

(٢) المدخل إلى الأصوات العربية – غانم قدروي الحمد /دار عمار –عمان ط ١ /٢٠٠٤ ص ١٨٥.

(٣) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط١٩٧١/٤ ص ١٧٩.

مفردة من حيث المخارج والصفات غير كافية باعتبارها تخضع لقواعد معينة في تجاورها وارتباطاتها ومواقعها"(١).

ومن هنا فإن دراسة التشكيل الصوتي تقتضي دراسة الظواهر التي لا ترتبط بالأصوات في ذاتها فحسب، بل بالمجموعة الكلامية بصفة عامة، كموقع الكلمة والنبر والتنغيم، بمعنى دراسة سلوكها داخل التركيب اللغوي. وعلى الرغم من أن الفلاسفة العرب والمسلمين قد تأثروا بالفكر اليوناني أو الإغريقي إلا أن فكرهم ظل عربي الوجه واليد واللسان صرفاً صافياً، ولقد تناول الفلاسفة جانباً مهما من جوانب الدراسة التشكيلية الصوتية يكاد يفوق ما تناوله غيرهم من المحدثين المعاصرين في مجال الدراسة الصوتية ألا وهو الدراسة غير التشكيلية الأدائية، كالمقطع والنبر والتنغيم، وهذا يرجع إلى اهتمامهم بالتركيب اللغوي؛ لما له من أهمية عظيمة في حياة اللغة، فكل لغة لها مستوياتها المتعددة التي تتشكل في النهاية كنظام، بحيث لا يتعارض فيه كل مستوى مع الآخر، فكل مستوى يؤثر في الآخر ويكمله، فالمستوى الكتابي لا يتعارض مع المستوى النحوي أو الصرفي مثلاً، وعلى أية حال فالمستوى الصوتي، يخضع لتوزيع منسجم بحيث لا يتعارض صوت مع آخر أو موقع مع آخر.

والمستوى المقطعي والنبري والتنغيمي، كلها مجتمعة تشكل ذلك النظام الصوتي في أي لغة، ويؤدي هذا المستوى الصوتي بالتعاون مع باقي مستويات الدراسة اللغوية وظيفة هامة في حياة اللغة، ونحن هنا إذ نتناول المقطع الصوتي دراسة نظرية فإننا سنلقي الضوء على بعض القضايا التي تتناول المقطع الصوتي من حيث:

(١) التطور النحوي للغة العربية" برجستراسر، أخرجه وصححه د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ودار الرفاعي ، الرياض ، ١٩٨٢م. ص ١٦.

١/تحديد مفهوم المقطع (لغة واصطلاحاً)

٢/النظام المقطعي في التراث العربي القديم

٣/دراسة النظام المقطعي عند بعض الفلاسفة المسلمين أمثال (الفارابي وابن رشد)

٤/تعريف المقطع في الدراسات الصوتية الحديثة.

٥/أنواع المقاطع الصوتية في اللغة العربية.

٦/خصائص النسيج المقطعي لبنية اللغة العربية.

٧/أهمية دراسة النظام المقطعي الصوتية.

تعريف المقطع في اللغة:

كلمة (المقطع)في اللغة من القطع وهو " إبانة بعض أجزاء الشيء من بعض يقال: قطعه قطعاً، وقطّعه واقتطعه والقطع، وتقطّع بتشديد الطاء للكثرة. فالمقطع مفعل، اسم مكان من قطع، وتقطّع كل شيء ومنقطعه: آخره حيث ينقطع كمقاطع الرمال والأودية، والمقطع: الموضع الذي يقطع فيه النهر من المعابر.

ومقاطع القرآن مواضع الوقوف، ومبادئه: مواضع الابتداء. ومقطعات الشيء: طرائقه التي يتحلل إليها ويتركب عنها، كمقطعات الكلام ومقطعات الشعر، ومقاطيعه: ما تحلل إليه وتركب عنه من أجزائه التي يسميها علماء العروض العرب الأسباب والأوتاد[١].وقد حلل الدكتور عباس حسن مادة (قطع) إلى حروف ومقاطع فقال: " القاف (للقوة والمقاومة والانفجار الصوتي)،والطاء:(للمطاوعة والطراوة والفلطحة) والعين (للعيانية والوضوح والفعالية) والحرف الأصل هو (القاف) وهكذا يبدأ حادث القطع بحسب أصوات

(١) لسان العرب، جمال الدين بن منظور المصري (ت ٧١١هـ) دار صادر – بيروت ط/١ وط /بولاق ١٩٨٢م مادة (قطع) ج/١ ص١٤٥/١٥١ وانظر المحيط في اللغة للصاحب بن عباد تحقيق محمد حسن آل ياسين بيروت- ١٩٩٤ ج/١ ص٢٥/٢٧.

حروفها، بصدمة قوية تحدث صوتاً انفجارياً للقاف ثم يطري موضع الصدمة ويلين (للطاء) مما يؤدي إلى فصل بعض منه بوضوح (للعين).وذلك سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المراد(١).

ومن هذا المنطلق فإننا نفهم أن تحديد علماء الأصوات مصطلح المقطع بالوحدة الصوتية التي ينقطع الصوت عندها يكون صحيحاً لما فيه من وضوح للانفجار الصوتي والمقطع بهذا الوصف يتناسب مع طبيعة حروفه وذلك لوضوح الانفجار الصوتي.

المقطع اصطلاحاً: والمقطع في اصطلاح علماء الأصوات أقرب إلى قول العرب: مقطعات الكلام أي: أجزاؤه التي يتحلل إليها ويتركب عنها، يقول ابن الدهان (محمد بن علي ت ٥٩٢ هـ):" وبين الألفاظ والحروف المقاطع، والمقاطع تنقسم إلى خفيفة وثقيلة، فالخفيف مركب من صامت ومصوت لأن الصوت إما أن ينطق به في أقصر زمان يكون فيه اتصال الصامت إلى الصامت وإلى السمع، وهو المقطع المقصور والسبب الخفيف العروضي مثل (لن) وإما أن ينطق به في ضعف الزمان أو أضعافه يسمى مقطعاً ممدوداً والوتد المفروق العروضي مثل (فاع)(٢).

وهذا يعني أن اللغويين وعلماء الأصوات عرفوا المقطع أو ذكروه في مؤلفاتهم، على الرغم من عدم توسعهم فيه، وابن الدهان في تعريفه هذا تطرق إلى أنواع المقاطع وقسمها إلى خفيفة وثقيلة، وذكر كل نوع منها ثم انتقل في تعريفه إلى زمن النطق من حيث قصره أو طول النطق به وأطلق اسماً على كل واحد منها.

(١) خصائص الحروف العربية ومعانيها د. عباس حسن منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق سوريا ١٩٩٨ ص٦٥.

(٢) تقويم النظر في الأدلة واختلاف الفقهاء لمحمد علي الدهمان (ت ٥٩٢هـ)دار الكتب المصرية مخطوط في الفقه الشافعي رقم /٥٢ نقلا عن المدخل إلى علم أصوات العربية لغانم قدروي الحمد ص١٨٨.

وعلى كل حال فإن أغلب علماء الأصوات العرب المحدثين في دراساتهم أجمعوا على أنهم قد أفادوا من دراسات السابقين الأوائل في هذا المجال، ولكنهم توسعوا وأبحروا في مجال الدراسات التشكيلية الصوتية وتناولوا جوانب كثيرة لم يهتم بها الأوائل في دراساتهم كالنبر والتنغيم والمقطع.

المقطع في التراث العربي القديم:(تطوافة تاريخية)

إذا كانت دراسة المقاطع الصوتية في تفاصيلها ثمرة من ثمرات الدرس الصوتي الحديث عند الغربيين، فإن بذورها في الدراسة اللغوية العربية القديمة يمكن أن تلتمس بلا تكلف في الدراسة العروضية التي ابتكرها الخليل ابن أحمد، ذلكم العبقري الفذ الذي رأى أن المقاطع مؤلفة من صوامت (سواكن) وصوائت (حركات) والعروض حاكم على الساكن والمتحرك وهكذا قال فيلسوف العربية وعبقريها ابن جني كما أنه أحد العناصر الرئيسية للتفاعيل العروضية – وهو السبب الخفيف – المشكل لأحد المقاطع البسيطة بل إن التفاعيل وعناصرها يمكن اعتبارها صيغاً لتجميع المقاطع بأنواعها.

وفي عصرنا الحاضر قلما نجد دراسة ليس لها أصل أو جذر في دراسات الأقدمين، وها هو علم الأصوات الحديث قد بنيت قواعده الأساسية على دراسات الأقدمين الذين كان لهم قصب السبق في الدراسات الصوتية، فكان لدراساتهم فضل جلي وواضح على دراسات المحدثين الذين توسعوا فيها وأضافوا إليها، وتحديدا في الدراسات غير التشكيلية الأدائية لعلم الأصوات الحديث، كالمقطع والنبر والتنغيم، ومن هؤلاء:

١/ ابن جني:

عبقري العربية الفذ أبي الفتح عثمان بن جنى ورد عنده مصطلح المقطع، بمعنى المخرج، إذ يقول:" الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده، واستطالته، فيسمى

المقطع أينما عرض له حرفاً"[١].

وفي مجال التعليق على ما قاله ابن جني يقول الدكتور تمام حسان: عندما سمى المقطع حرفاً بقوله: " ويعود الضمير على الصوت، عرض راجع إلى المقطع، ومن هنا نفهم أن ابن جنى يسمي المقطع هنا حرفاً، والمعروف أن المقطع هو مخرج الحرف لا الحرف"[٢].

ولكن ابن جنى لا يقصد بقوله السابق سوى قطع الهواء أو وقوفه كلياً كما في الوقفات أو جزئياً كما في الاحتكاكيات حتى يتكون الصوت، ويتحقق قطعه من مخرج معين، أما عبارة ابن جنى "فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً "فأنا أوافق الأستاذ تمام حسان على تعليقه عليها، فالمقطع هو المخرج وليس الحرف. ولقد أطلق ابن جني مصطلح المقاطع على القافية في الشعر وعلى آخر السجعة في النثر، فقال: " ألا ترى أن العناية في الشعر إنما هي بالقوافي لأنها المقاطع، وفي السجع كمثل ذلك نعم وآخر السجعة والقافية أشرف عندهم من أولها، والعناية بها أمس، والحشد عليها أوفى وأهم."[٣]، والمقطع في عبارة ابن جنى السابقة يقصد به حرف الروي أو آخر السجعة، أو الحرف الأخير من الفاصلة في القرآن، والعرب قديماً كانت تهتم بالروي وتوليه عناية كبيرة.

٢/ الفارابي: أحد الفلاسفة الذين كان لهم باع طويل في مجال الدراسات الصوتية القديمة، إذ أطل علينا بأعماله الجليلة، التي من ضمنها كتابه {الموسيقى الكبير} وتناول فيه الصوت اللغوي الإنساني الدال، والمقطع الصوتي، وأظهر قدرته على الإفادة من فكرة المقطع في دراسة أوزان الشعر، وحسن تصرفه بالمصطلح،

(١) سر صناعة الإعراب "، لابن جني تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٤هـ=١٩٥٤م. ج١، ص: ٩. وانظر: الخفاجي، ابن سنان سر الفصاحة: ج١ ص٤١".

(٢) مناهج البحث في اللغة د. تمام حسان دار الثقافة –الدار البيضاء (المغرب) د– ت ص٢١٩ ومكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة– ط٢ ١٩٧٧م ص١٤٠.

(٣) الخصائص لابن جني تحقيق – محمد علي النجار – دار الكتب المصرية ١٩٥٢ ط٤، ص٢٤.

وإطلاقه تسمية المقطع القصير على ما يقابل الصامت المتبوع بصوت قصير، والمقطع الطويل على ما يقابل الصامت المتبوع بصوت طويل، واستعمال كلمة (حرف) بما يقابل مصطلح (الفونيم)،وغير ذلك من مسائل الدرس الصوتي الحديث.

من هنا نستطيع أن نقول أنكل مصطلح مهما كانت جدته، لابد أن تجد له في تراثنا العربي الزاخر أصلاً، ولو من بعيد، وحقيقة فإن مصطلح المقطع يعود إلى الفارابي، فهو أول من ذكره، والمقطع عنده حصيلة اقتران حرف غير مصوت (صامت) بحرف مصوت (صائت) فنجده يقول فيذلك: " المقطع مجموع حرف مصوت وحرف غير مصوت"(١).

وفي ميدان التعليق على ما قاله الفارابي يقول الدكتور كمال بشر – رحمه الله –وهذا النص بخلاف سابقه (نص ابن جني) فهو يشير وبوضوح كامل على أن الفارابي أدرك فكرة المقطع بصورة تشبه أو تماثل في مضمونها تصور المحدثين.

أما من حيث أنواعه فقد قسمه إلى قصير وطويل، فقال:" وكل حرف غير مصوت أتبع بمصوت قصير قرن به فإنه يسمى المقطع القصير، والعرب يسمونه الحرف المتحرك من قبل أنهم يسمون المصوتات قصيرة الحركات"(٢).

وكل حرف لم يتبع بمصوت أصلاً وهو يمكن أن يقرن به فإنهم يسمونه الحرف الساكن وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل فإنا نسميه المقطع الطويل(٣).

ومعنى هذا أن تعريف الفارابي، بمثابة إعلان صريح على أن المقطع مهما

(١) الموسيقى الكبير للفارابي–تحقيق غطاس عبد الملك خشبة – دار الكاتب العربي القاهرة (د–ت) ص ١٠٧٥.
(٢) المصدر السابق، ص:١٠٧٥.
(٣) المصدر السابق ص ١٠٧٨–١٠٧٩.

كان نمطه فلا بد من اشتماله على حركة قصيرة أو طويلة على السواء[١].

ثم يربط المقطع الطويل بالسبب الخفيف، فيقول: "وكل مقطع طويل فإن قوته قوة السبب الخفيف، فلذلك يعد في الأسباب الخفيفة، وكل ما لحق الأسباب الخفيفة لحق المقاطع الطويلة، وسائر ما يركب تركيبا أزيد مما عددناها فإن جميعها مركبة إما عن أسباب وإما عن أوتاد. وإما عنهما جميعاً وكل سبب خفيف فإنه يقوم مقام نقرة تامة تعقبها وقفة، كذلك كل مقطع طويل وفي هذا إشارة واضحة إلى أن الفارابي قد أدرك العلاقة بين المقاطع والأسباب مما يدعو إلى القول بأن الدراسات العروضية في روحها هي عبارة عن دراسة للمقاطع في اللغة العربية مع بعض الاختلافات منها:

١/السبب بنوعيه: خفيف وثقيل ،" ويتركب السبب الخفيف من حرفين الأول متحرك و الآخر ساكن (–هـ) ومثاله: (فا) في (فاعلن)و(لن) في (فعولن) و (مس) و(تف) في مستفعلن[٢].

وهذا التعريف ينطبق على المقطع في علم العروض، أما المقطع الصوتي فالسبب الخفيف(فا) يقابل المقطع المتوسط المفتوح الذي يتألف من: {صامت +حركة مد طويلة} = {ص ح ح}، أما السبب الثقيل المتمثل في: (مس) و(تف)، يقابل المقطع الصوتي المتوسط المغلق والذي يتألف من: {صامت + حركة مد قصيرة + صامت} = {ص ح ص}

٢/ الوتد المجموع (علن) والذي يقابل في العروض (––هـ) يختلف عنه في المقطع الصوتي ف (علن) تتألف من مقطعين صوتين {عِ = ص ح أو مقطع قصير}، و(لن) الذي يقابل المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص)، والوتد

(١) علم الأصوات د. كمال بشر دار غريب القاهرة ١٩٨٣ ص ٥٠٧ .

(٢) الموسيقى الكبير للفارابي ص ١٠٧٢– ١٠٧٩

المفروق (فاع) يقابل في الدراسات المقطعية الصوتية مقطعين أيضاً هما (فا) ويقابل المقطع الصوتي المتوسط المفتوح (ص ح ص)، والمقطع (عِ) يقابل المقطع الصوتي القصير (صح)إن الذي (يهمنا هو إدراك الفارابي للعلاقة بين المقاطع والأسباب، والمقاطع هنا نعنى بها المقاطع العروضية التي تشبه في روحها دراسة المقاطع الصوتية في اللغة العربية، فمصطلح المقطع ليس بجديد وله ذكر في الدراسات القديمة.

ثم يتابع الفارابي ربطه بين المقاطع والأسباب مقارنا ما توصل إليه بنتائج الدراسات العروضية آنذاك قائلاً: "وكل حرف متحرك أتبع بحرف ساكن، فإن العرب يسمونه السبب الخفيف، وكل حرف متحرك أتبع بحرف متحرك فإنهم يسمونه السبب الثقيل[1].وعلى هذا يكون الفارابي قد استبق الدرس الصوتي الحديث كثيراً في نفيه لوجود مصوت قصير قبل المصوت الطويل، والصوامت (الحروف)عنده، إما أن تردف بمصوتات مقيدة وإما أن تكون ساكنة وإما أن تردف بمصوتات طويلة.

والفارابي على هذا أول من استعمل المقطع بمفهومه الاصطلاحي، وإن كان يستعمله في بعض الأحيان بالمعنى اللغوي كقوله: "والألحان المسموعة من الآلات منها ما صيغ ليحاكي ما يمكن محاكاته من الألحان الكاملة، أو لتجعل تكثيرات لها وافتتاحات ومقاطع واستراحات إليها في خلال المحاكاة[2].

أنواع المقاطع عند الفارابي:

يذكر الفارابي نوعين من المقاطع في العربية متجاوزاً الأنواع الأخرى، فسمى الأول مقطعاً قصيراً والآخر طويلاً، بقوله: "وكل حرف غير مصوت قرن

(١) دروس في موسيقى الشعر العربي – العروض والقافية صادق أبو سليمان (جامعة الأزهر) مطابع الهيئة الخيرية غزة ط٢ ١٤١٥ /١٩٩٥ ص٦٤ .

(٢) المصدر السابق /٦٨-٦٩

به مصوت فإنا نسميه المقطع الطويل"[١]. وهنا يقصد الفارابي بالمقطع الطويل المقطع (صح ح) الذي يقابل في الدرس الصوتي الحديث المقطع المتوسط المفتوح.

على أية حال فالفارابي ذكر المقطع واستعمله سواء بمفهومه الاصطلاحي أم بمفهومه اللغوي، وقدم للدراسات الصوتية الحديثة خدمات لا نظير لها وخاصة حين ترجم كتاب أرسطوطاليس، فكانت دراسته رداً على كل من أنكر جهود الأوائل فيما يتعلق بالدراسة فوق التشكيلية وبخاصة المقطعية منها، ومع أن العمل الذي قام به الفارابي في بدايته كان عبارة عن ترجمة إلا أنه أضاف إليه الكثير من الأمور التي تؤكد أنه كان في كل مرة يقارن ما توصل إليه في اللغة اليونانية بما لمسه في اللغة العربية.

فالمقاطع مثلاً لا معنى لها وهي مفردة في اللغة اليونانية، إلا أن الفارابي لاحظ في العربية بعض المقاطع التي تبقي دالةً على معنى، وإن كان يختلف عن المعنى الذي.

وقد أفرد الدكتور عباس حسن في كتابه " خصائص الحروف العربية ومعانيها " فصلاً كاملاً أيد فيه هذه الفكرة[٢].وإن كنا نخالف مؤيدي هذه الفكرة، إذ إنه لا يمكن تعميمها على كل مقاطع كلمات اللغة حتى وإن صدقت على بعض مفردات اللغة.

وابن سينا –على غرار الفارابي– أدرك هو الآخر أركان المقطع أو حدوده وهي الحروف المصوتة والصامتة كما تسمى اليوم، والمصوتات بفرعيها الممدودة أي الطويلة والمقصورة أي القصيرة أو كما سماها النحاة بالحركات.

(١) المصدر السابق/١٠٧٢

(٢) خصائص الحروف العربية ومعانيها د/عباس حسن ص٢٤١-٢٤٢

وقد تردد مصطلح المقطع في مؤلفات النحاة واللغويين القدامى كثيراً، لكنه حمل معاني متعددة حيث نجد عبارتي "حروف المقطع" و"الحروف المقطّعة" قاصدين بها الحروف المفردة في مقابل المتصلة أو المجموعة، فهذا الفراء، حين عرض لعامل الرفع في لفظ (كتاب)في قوله تعالى:﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ ﴾هود: ١. فقد رأى أن العامل في هذا اللفظ حروف الهجاء (أ ل ر) من حروف المقطع كتاب أنزل إليك مجموعا(١).

ومن أقوال المتكلمين، التي تجعل القارئ يشعر بفهم صاحبها لحقيقة المقطع كما تعرفه اللسانيات الحديثة وإن لم يصرح بلفظ الكلمة قول " القاضي عبد الجبار " عندما تناول " جنس الصوت " بقوله: " الأصل في هذا الباب أن جنس الصوت، قد يختلف الوجه الذي يحدث عليه، فقد يكون صوتاً مفيداً غير مقطّع، وقد يكون مقطّعاً في جنس واحد، وقد يكون مقطعاً في جنس يتصل تارة في الحدوث، وينفصل في أخرى"(٢).

والجاحظ وإن استخدم مصطلح " التقطيع " أيضاً، لكنه اقترب من المفهوم الحديث للمقطع، حين قصد به تجزئة الكلام فقال: " الصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف" وفي موضع آخر قال: " ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف"(٣).

(١) معاني القران للفراء تحقيق عبد الجليل شلبي المكتبة العصرية صيدا لبنان ١٩٧٣ ج١ ص ٣١٨

(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار قومه إبراهيم الإبياري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر(د–ت) ج٧ ص ٦

(٣) البيان والتبيين "،للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٦٨ ج ١ص٧٩

تعريف المقطع في الدراسات الصوتية الحديثة:

على الرغم من أن الطفل في أي لغة يمكن أن يعدد مقاطع كلمة معينة على أصابعه إلا أن علماء الأصوات لم يقدموا لنا وصفاً دقيقاً وشاملاً للمقطع، ووجدوا أن تعريف المقطع أمر عسير(١)؛ لهذا لم يتفق علماء الأصوات على تعريف واحد للمقطع، ومرد ذلك إلى اختلاف الرؤى حول الوظيفة الأكوستيكية الفيزيائية أو الوظيفية النطقية، أولأن الأجهزة المستخدمة لم تمكنهم من رسم حدود المقطع بدقة(٢).وكل لغة لها نظامها المقطعي الذي بنيت عليه، لهذا نجد علماء الأصوات يعرفون المقطع كلٌ بحسب ما يتناسب وطبيعة لغته، فتعريف المقطع كما يؤكد العلماء سار في اتجاهات ثلاثة، كل اتجاه ينظر إليه من خلال اعتبارات معينة تسهم في الكشف عن طبيعة المقطع.

الاتجاه الفونيتيكي: (الفيزيقي أو الأكوستيكي)

وتعريف المقطع عند أصحاب هذا الاتجاه عبارة عن: " قمة إسماع تقع بين حدين أدنيين من الإسماع(٣). فالمقطع بذلك له حد أعلى أو قمة إسماع طبيعية، وقد لاحظ علماء الأصوات المحدثون أنه في حالة تسجيل الذبذبات الصوتية لجملة من الجمل فوق لوح حساس يظهر أثر هذه الذبذبات في خط متموج ويتكون هذا الخط من قمم ووديان (قواعد) وتلك القمم هي أعلى ما يصل إليه الصوت من الوضوح السمعي والوديان هي أقل ما يصل إليه الصوت من

(١) اللغة لفندريستعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص٨٥ /١٩٥٠

(٢) برتيل ، مالمبرك :" علم الأصوات " ، تعريب عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٨٥م ص ١٥٤، وانظر: أحمد مختار عمر:" دراسة الصوت اللغوي "، عالم الكتب، الطبعة الأولى، مصر، ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م. ص: ٢٣٨

(٣) أصوات اللغة "، عبد الرحمن أيوب مطبعة دار التأليف، ط١، القاهرة، ١٩٦٣م. ص: ١٣٩، وانظر الصوت اللغوي أحمد مختار عمر:٢٤١، وانظر أيضا: ماريوباي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، طرابلس، ليبيا، ١٩٧٣م. ص: ٩٦

الوضوح، وأصوات اللين تحتل في معظم الأحيان تلك القمم تاركة الوديان للأصوات الساكنة[١].

وعلى كل حال فتعريفات المقطع من خلال الاتجاه الفونيتيكي كثيرة، المهم هنا أن نذكر أن أصحاب هذا الاتجاه يركزون في تعريفاتهم على حدود المقطع ودرجة الإسماع ولقد ذكرها د. أحمد مختار عمر في كتابه (دراسة الصوت اللغوي)[٢].والدكتور كمال بشر في كتابه علم الأصوات ودكتور رمضان عبد التواب في المدخل إلى علم اللغة والدكتور سعد مصلوح في السمع والكلام.

يبقى أن نقول إن عالم اللغة الدانماركي " أوتويسبش"- ت١٩٤٣ م- كان يرى في ميل الأصوات إلى التجمع تبعاً لما تتميز به من همس وجهر (أو وضوح سمعي) عاملاً حاسماً في تكوين البنية المقطعية، وهو يرى أن الوحدات الصوتية تتجمع حول الوحدة الأكثر إسماعاً وغالباً ما تكون حركة وذلك بحسب درجة الوضوح السمعي.

وقد رتب اللغوي (يسبرسن) الأصوات بحسب الإسماع الترتيب التالي بادئاً بأقلها درجة

١/ الجوامد (الصوامت) المهموسة.

(أ) الوقفية (الشديدة) مثل: ك- ت -ب. (ب) الاحتكاكية الرخوة مثل: س – ف

٢/ الوقفية (الشديدة) المجهورة مثل: ب – د – ك. ٣/الاحتكاكية المجهورة مثل: ز- ف. ٤/الأنفية والجانبية مثل: م – ن – ل. ٥/المترددة مثل: ر

٦ /العلل (الحركات الضيقة ٧ /العلل (الحركات) نصف الواسعة. ٨/ العلل(الحركات)الواسعة[٣].

(١)الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص١٦١

(٢) دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر ص٢٤١

(٣) أصوات اللغة عبد الرحمن أيوب ص١٣٥ ودراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمرص٢٤٤ وعلم الأصوات برتيل ما لمبرج ص١٥٧ .

ومن الملاحظ أن" الأصوات الساكنة بطبيعتها أقل وضوحاً في السمع من أصوات اللين[١]. ومن الجدير بالذكر أن علماء الأصوات المحدثين " قد لاحظوا أن اللام والنون والميم أصوات عالية النسبة في الوضوح السمعي، وتكاد تشبه أصوات اللين في هذه الصفة مما جعلهم يسمونها أشباه أصوات اللين.

٢/ الاتجاه الفونولوجي / الاتجاه الوظيفي

يقوم الاتجاه الفونولوجي أو الوظيفي في تعريف المقطع على وجود ارتباط وثيق بين بنية الكلمة وبنية المقطع وهو بذلك يقوم على تصور المقطع على الطرق المختلفة التي تتجمع فيها الأصوات من صوامت وحركات.

ومن أبرز تعريفات المقطع من هذا الاتجاه: ما ذكره اللغوي (هيلمسليف) فقد عرف المقطع بأنه " سلسلة تعبيرية تشتمل على نبرٍ واحد بالضبط"[٢].

وعرف د. عبد الصبور شاهين المقطع بأنه: تأليف صوتي بسيط تتكون منه واحداً أو أكثر من كلمات اللغة، متفق مع إيقاع التنفس الطبيعي، ومع نظام اللغة في صوغ مفردات[٣].

ولقد علق د. غانم قدوري الحمد على التعريف السابق بقوله " وينحو هذا التعريف نحو التعميم كما أنه يمزج بين الجانب الوظيفي والجانب النطقي[٤].

وعرفهد. إبراهيم أنيس " أنه عبارة عن حركة قصيرة أو طويلة مكتنفة بصوت أو أكثر من الأصوات الساكنة (الأصوات الصامتة)[٥].

---

(١) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص ١٦١

(٢) علم الأصوات العربية محمد جواد النوري وآخرون منشورات جامعة القدس المفتوحة عمان ط١ ١٩٩٦ ص٢٣٤.

(٣) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث د. عبد الصبور شاهين دار القلم القاهرة ١٩٩٦م ص٢٥ وانظر علم الأصوات لمامبرج، تعريب عبد الصبور شاهين مكتبة الشباب القاهرة ١٩٨٤م ص ١٦٤

(٤) مدخل إلى علم أصوات العربية غانم قدوري الحمد ص١٩٢

(٥) موسيقى الشعر د. إبراهيم أنيس دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الرابعة ،١٩٧٢ ص١٤٧.

وعرفه د. رمضان عبد التواب " كمية من الأصوات تحتوي على حركة واحدة ويمكن الابتداء بها والوقف عليها"(١).

وعرفه د. عبد الرحمن أيوب " مجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة"(٢).

وقد أيد بعض اللغويين هذا الاتجاه فنظروا إليه على أنه نمط أدنى من التجمعات الفونيمية، وتقوم فيها وحدة الحركة بدور النواة أو المركز وتكون مسبوقة ومتلوة بوحدة صامتية أو تجميع صامتي ممكن الوقوع(٣).

والخلاصة أنه قد ظهر لنا من العرض السابق لتعريفات المقطع من الاتجاه الفونولوجي أن كل تعريف يكشف جانباً من خصائص المقطع بأنه تتابع صوتي من الصوامت والمصوتات، ويتكون عادة من حركة تعتبر نواة المقطع يحيط بها بعض الصوامت.

٣/الاتجاه النطقي:

وأما إذا انتقلنا إلى تعريف المقطع من الناحية النطقية فسنجده "مجموعة أصوات تنتج بنبضة أو خفقة صدرية واحدة"(٤).

وبعد هذا العرض يمكن تعريف المقطع تعريفًا جامعاً مانعاً يشمل هذه الاتجاهات الثلاثة فنقول المقطع هو: كتلة صوتية أو مجموعة أصوات تنطق مستقلة أو منفصلة عما قبلها وبعدها وتنتج بضغطة واحدة، يمكن أن تسبق بصامت أو تتبع بصامت أو بصائت قصير أو طويل، وقد يأتي متبوعاً بصوت

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه د. رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط الثالثة ١٩٧٧م ص ٧٤ .

(٢) أصوات اللغة عبد الرحمن أيوب، مطبعة الكيلاني، القاهرة، الطبعة الثانية ، ١٩٦٨م ص ١٣٩ .

(٣) دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمرص٢٤٢ وانظر: مناهج البحث في اللغة د. تمام حسان ط الدار البيضاء ص ١٣٥

(٤) دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمرص٢٥٠

جامد أو اثنين، ويكون الصائت فيه قمة إسماع بالنسبة لغيره من الأصوات الأخرى التي يتكون منها المقطع فالتعريف هو كتلة صوتية صدرية واحدة " يمثل الاتجاه النطق يأما التعريف ممكن أن تسبق أو اثنين يمثل الاتجاه الفونولوجي، وأما أن يكون الصائت فيه قمة إسماع منها المقطع " فيمثل الاتجاه الفونيتيكي الفيزيقي.

ولقد أكد دكتور /أحمد مختار عمر أن:" وصف الصوت بأنه مقطعي أو غير مقطعي بدون وضعه في سياق معين، يعد ضرباً من اللغو، لأن المقطعية وعدمها ليست صفة ملازمة للصوت، وإنما صفة له تنشأ عن مقارنته بما يصاحبه من أصوات هذا صحيح وشائع في كثير من اللغات، ولكن في اللغة العربية تميز المقطعي ويقصد هنا الأصوات التي لها وضوح سمعي من غير المقطعي (الصوت الذي يكون في الهامش أو القاعدة) دون أن يوضع في سياق ففي اللغة العربية نجد العلل تأخذ موقع القمة أو النواة ولها وضوح سمعي ، أما السواكن الصوامت فتكون في موقع الهامش دون أن توضع في سياق. فذكر أن السواكن تحتل المركز الثاني بعد العلل في قوة إسماعها.

ولكن هل يا ترى العلل التي تأخذ موقع القمة أو النواة والتي لها وضوح سمعي تحمل دلالات من خلال السياقات التي وجدت فيها أكثر أو أقل من السواكن التي على موقع الهامش؟ أو بعبارة أخرى هل العلل في النظام المقطعي تضيف دلالة عن غيرها من السواكن؟ هذا ما سنلمسه في هذه الدراسة.

ويمكن القول بأن كل نوع من هذه المقاطع له دلالات من خلال السياقات التي ورد فيها في اللفظة نفسها وفي الجملة وفي العبارة الطويلة، فالمقطع الذي يتألف من (صامت + حركة مد طويلة) مثل يا، يختلف عن المقطع الذي يتألف من (صامت + حركة مد قصيرة) ومثاله الكاف في (كتب) وعن المقطع الذي يتألف من (صامت +حركة مد قصيرة+ صامت) ومثاله (لم – كم). وأخيراً نستدل

من هذه التعريفات الكثيرة والمتعددة الخصائص أن المقطع يتصف بنوع من التماسك النطقي ونوع من التماسك النفسي عند بعض العلماء(١).

وعلى الرغم من هذا التماسك والاتحاد نجد من خلال النطق بأي مقطع ومن خلال معرفتنا بالأصوات وتسلسلها من درجة وضوحها في السمع ما من شأنه أن يفيدنا في كثير من النواحي العملية في الحياة.

ومثل ذلك في الحديث الهاتفي والإذاعي لا يكاد المرء أن يميز الأصوات المهموسة الانفجارية التاء والكاف والطاء، وذلك لأن درجة وضوحها السمعي ضعيفة، ولكنه عن طريق السياق أو المعنى العام يفترض وجودها، ويتم هذا الفرض دون شعور متعمد منه أي أنه يعوض فقدانها في الحقيقة بوجودها في خياله، ولهذا يجدر بالمنشدين ومؤلفي الأناشيد أن يتحاشوا مثل هذه الأصوات في أناشيدهم كلما أمكن ذلك، أصوات لا تكاد تصلح للغناء وهي في نفس الوقت معرضة للسقوط أو الاختفاء في التسجيل الصوتي(٢).

أنواع المقطع في اللغة العربية:

كل لغة لها نظامها الخاص في تشكيل المقاطع ، وتختلف عن غيرها في أنواع المقاطع التي تستخدمها وذلك تبعاً لنظامها اللغوي الذي تسير عليه تلك اللغة، واللغة العربية كغيرها من اللغات لها مقاطع خاصة بها ، وقد استخلصت خصائص النظام المقطعي للغة العربية مباشرة من النصوص العربية سواء أكانت شعراً أم نثراً أم قرآنًا وإن كانت هذه الأنواع المقطعية ليست بدرجة واحدة من حيث الشيوع والاستخدام.

(١)علم وظائف الأصوات اللغوية – الفونولوجيا عصام نور الدين دار الفكر اللبناني –بيروت ط١ ١٩٩٢ ص٩٢

(٢) اللغة بين القومية والعالمية د. إبراهيم أنيس دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠ ص٢٨-٢٩

وفيما يلي أنواع المقاطع في اللغة العربية:

١/ المقطع القصير= (صامت +حركة)، وهناك من يطلق عليه المقطع الصغير ورمز له بالرمز س ع (والرمز س ع = الرمز صح) ويسمى أيضاً بالمقطع المفتوح والمقطع الحر أو المتحرك(١).

ولكني أرى أن تسمية المقطع القصير = ص ح بالمقطع المفتوح يختلف عما نادى به بعض العلماء فعرفوا المقطع المفتوح " بأنه الذي لا يشتمل على خاتمة أي أنه ينتهي بحركة قصيرة أو حركة طويلة(٢).

وعن تسميته قال إبراهيم أنيس: " لهذا نرى أن يتفق العلماء على اسم موحد لهذا حتى لا يقع الدارسون في لغط وخطأ كبير، فارتضينا أن نسميه المقطع القصير كمن سبقنا من العلماء"(٣).

وعلى أية حال فالمقطع القصير يتألف من [صامت + حركة قصيرة]، صامت متلو بحركة قصيرة ومن أمثلة ذلك المقاطع المتوالية الثلاثة لكلمة زرع أو كَتب، الكتابة المقطعية لها: ك ـَ، ت ـَ، ب ـَ الرموز ص ح، ص ح، ص ح.

٢/المقطع المتوسط المفتوح = ص ح ح

ويتألف هذا المقطع من صامت متلو بحركة طويلة أو صائت طويل، أي [صامت + صائت طويل] ومن أمثلته (لا، ما، المقطع الأول من كاتب)الكتابة الصوتية المقطعية ل ـَ / م ـَ / ك ـَ على التوالي. الرموز ص ح ح / ص ح ح / ص ح ح.

(١) الأصوات اللغوية –عبد القادر عبد الجليل (الجامعة الهاشمية) دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن ط١ ١٤١٨ /١٩٩٨ ص٢٠

(٢) علم الأصوات العربية – محمد جواد النوري وآخرون ص ٢٤١

(٣) الأصوات اللغوية – د إبراهيم أنيس ص١٦٤

٣/ المقطع المتوسط المغلق = ص ح ص

ويتألف هذا المقطع من صامتين تتوسطهما حركة قصيرة، أي من [صامت + حركة قصيرة +صامت] ومن أمثلة هذا المقطع أداة الاستفهام (من وهل) أو أداة النفي والجزم (لم) والمقطعان المكونان للبنية كنتم (كُن /تم).الكتابة المقطعية م َن / ه َل / ل َم / ك ُن / ت ُم

الرموز ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص.

وهنا يجب أن ننوه إلى أن الحركة القصيرة كما رأينا في الأمثلة السابقة، قد تأتي فتحة مرة وتأتي ضمة مرة أخرى وفي حين آخر قد تأتي كسرة مثل: م ِن) وهكذا، وهذا بدوره لا يؤدي إلى أي تغيير في الكتابة الصوتية المقطعية ولا حتى في كتابة الرموز ولكن لهذا دور كبير في الدلالة الصوتية المقطعية ، فالصامت المتلو بحركة قصيرة بالفتحة يختلف عن غيره الذي يتلى بضمة أو بكسرة من ناحية موسيقية وإيقاعية ، فالنظام المقطعي في سورة اية الكرسي كان غاية في الدقة ليس فقط في استخدام المقاطع ودلالتها فحسب ، بل في اختيار الصوائت القصيرة (الفتحة والضمة والكسرة)، فالدقة والإحكام كان أيضاً في توظيف الصوائت بصورة تخدم الدلالة، وعلى أية حال فإن علماء الأصوات يؤكدون أن " الأنواع الثلاثة الأولى من المقاطع العربية هي الشائعة ، وهي التي تكون الكثرة الغالبة في الكلام العربي أما عن توالي المقاطع فجائز حينًا ومحظور حينًا آخر وتوالي المقاطع من النوع الأول المقطع القصير= (ص ح) أو النوع الثالث (المتوسط المغلق = ص ح ص)، جائز مستساغ في الكلام العربي، وإن كانت اللغة العربية في تطورها تميل إلى التخلص من توالي النوع الأول، أما توالي النوع الثاني (المقطع المتوسط المفتوح = ص ح ح) فهو مقيد غير مألوف في الكلام العربي، ولا يسمح الكلام العربي بتوالي أكثر من اثنين من هذا النوع في الكلمة المجردة الواحدة وليس في الجملة.

٤/ المقطع الطويل المغلق = ص ح ح ص

وهذا المقطع يتألف من صامتين يحصران بينهما حركة طويلة أو صائت طويل أي من صامت + صائت طويل +صامت ومن أمثلته (مال) في حالة النطق بها ساكنة، وكذلك (عين) المقطع الأخير من الفعل المضارع (نستعين)عند الوقف. والحقيقة فإن هذا المقطع قد تكرر بشكل مطرد في فواصل الآيات، وذلك لأننا في قراءتنا قراءة " حفص عن عاصم " نقف عند انتهاء الآية فيتولد المد العارض للسكون المشكل لهذا المقطع في الوقف.

٥/ المقطع الطويل المزدوج الإغلاق = ص ح ص ص

وهذا المقطع والمقطع السابق قليلا الشيوع ولا يكونان إلا في أواخر الكلمات وحين الوقف(١).

ويتألف هذا المقطع من صامت متلو بحركة قصيرة متلوة بصامتين، أي من (صامت +حركة قصيرة + صامت + صامت) ومن أمثلته: (أرض – شعب – خبز) عند الوقف أو في حالة النطق بها ساكنة.

هذا وقد ذكر كثير من المحدثين خمسة أنواع من المقاطع التي يتألف منها النسيج العربي، وقسموها إلى نوعين: متحرك وساكن والمقطع المتحرك هو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، أما المقطع الساكن (أو المغلق) فهو الذي ينتهي بصوت ساكن ... واللغة العربية تميل عادة في مقاطعها إلى المقاطع الساكنة وهي التي تنتهي بصوت ساكن، ويقل فيها توالي المقاطع المتحركة، خصوصاً حين تشتمل على أصوات لين قصيرة.(٢).

(١) الأصوات اللغوية – د إبراهيم أنيس ص١٦٥

(٢) انظر الأصوات اللغوية د/إبراهيم أنيس ص١٦٥ والمدخل إلى علم الأصوات اللغوية /غانم قدوري الحمد ص١٩٧ والأصوات اللغوية/ عبد القادر عبد الجليل ص٢٢٠-٢٢١

٦/ المقطع البالغ الطول المزدوج الإغلاق = ص ح ح ص ص

يهمل الكثير من علماء الأصوات المحدثين هذا المقطع، وذلك لأن استعمال هذا المقطع قليل جداً، بل نادر في الكلام العربي، ومع ذلك رأيت أن أذكره هنا لأنه ورد في بعض الكلمات القرآنية خاصة في المد الكلمى المثقل، فالمقطع (ص ح ص ص) يشبه سابقه باستثناء كون الحركة التي يشتمل عليها طويلة، ويتألف هذا المقطع من:(صامت + حركة طويلة أو صائت طويل + صامتين) ومن أمثلة هذا المقطع كلمة (جان) في قوله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾الرحمن: ٣٩. وكما رأينا فإن هذا المقطع نادر الشيوع في الشعر العربي، وفي القرآن لا ينطق به إلا حين الوقف على الصامت المشدد كما في كلمة (جان)

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: كم عدد المقاطع التي يمكن أن تستوعبها كلمة في النسيج العربي؟ وما هو الحد الأدنى أو الحد الأعلى لعدد المقاطع المستخدمة في الكلام العربي؟

والإجابة عن هذا السؤال تكمن في القول بأن المقاطع تتوزع في الكلمة العربية سواء أكانت اسماً أم فعلاً، مجردة أو مزيدة، في مقاطع منتظمة، تساعد على تحديد الدلالة في المنظور اللغوي كالآتي:

١/ أحادية المقطع مثل: عن = ع – ن

٢/ثنائية المقطع مثل: اكتب.

٣/ثلاثية المقطع مثل: كاتب.

٤/رباعية المقطع مثل: مدرسةٌ.

٥/خماسية المقطع مثل: متعلّم.

٦/سداسية المقطع مثل: كلمة (استقبالاتهم) في حالة الوقف.

٧/سباعية المقطع مثل: استقبالاتهن[١].

٨/ثمانية المقطع.

وتحدث عن ذلك أحمد مختار عمر قائلاً: " فالكلمة المشتقة في اللغة العربية اسماً كانت أو فعلاً، حين تكون مجردة لا تكاد تزيد على أربعة مقاطع، ويندر أن تجدها تتكون من خمسة مقاطع ... أما نحو فسيكفيكهم التي وردت في قوله تعالى: "فسيكفيكهم الله...." في سورة البقرة/١٣٧. فهي مكونه من أكثر من كلمة (ف +س +يكفي +ك +هم) وربما تعد هذه الكلمة واحدة من أكثر التجمعات المقطعية التي تقع في اللغة العربية.

وكذلك كلمة "أفنلزمكموها" التي وردت في سورة هود حيث تحوي الأولى ستة مقاطع (عند الوقف وسبعة عند الوصل) والثانية (أفنلزمكموها) ثمانية مقاطع[٢].

ويغلب على ظني أن الكلمتين الأخيرتين (فسيكفيكهم، أفنلزمكموها) اشتملتا على أكبر عدد من المقاطع في القرآن الكريم واللغة العربية وهذا الأمر يقودنا إلى مبحث آخره و تصنيفات المقطع ومعايير هذا التصنيف.

(١) الأصوات اللغوية– عبد القادر عبد الجليل ص ٢٢٠–٢٢١ بتصرف.

(٢)دراسة الصوت اللغوي –أحمد مختار عمر ص ٢٦٠ .

تصنيف المقطع في اللغة العربية

بعد هذه الجولة السريعة لزاماً علينا أن نصنف أنواع المقاطع المختلفة التي عرضناها في الصفحات السابقة، وكما هي العادة تصنف تلك المقاطع وفق أسس ومعايير يتبعها الباحثون عادة وتتمثل هذه المعايير والأسس في الآتي:

١/معيار الزمن الذي يستغرقه النطق بلب المقطع (النواة والخاتمة) يصنف المقطع إلى:

١/المقطع الضعيف: ويكون المقطع ضعيفاً إذا كان اللب فيه مكوناً من حركة قصيرة، متلوة بما لا يزيد عن صامت قصير واحد، ومن أمثلته المقاطع الثلاثة في البنية التالية (درستم) ويطلق على الزمن الذي يستغرقه نطق مثل هذا المقطع اسم " مورا"[١].

٢/المقطع القوي: ويقصد به المقطع الذي يستغرق زمن النطق به أكثر من " مورا " ويكون اللب مؤلفاً من أحد الأشكال التالية:

أ/حركة طويلة متلوة بخاتمة أو بدونها نحو:مال، وما.

ب/حركة قصيرة متلوة بصامتين أو أكثر نحو كلمة :(بنت) في اللغة العربية.

ج/حركة قصيرة متلوة بصامت طويل على الأقل نحو: شّد، ويقصد بالصامت الطويل، الصامت المضعف أو المشدد كما في الكلمة السابقة، أما الصامت القصير فيقصد به الصامت غير المشدد نحو ضع. وهذا ما ذهب إليه ابن جني في إدراكه للعلاقة بين الصوائت الطويلة والقصيرة فقال: اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاثة، وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة

(١)علم الأصوات العربية – محمد جواد النوري وآخرون ص ٢٤٠.

بعض الياء، والضمة بعض الواو[١].

ومن هنا نقول إن الفتحة والضمة والكسرة (الصوائت القصيرة)، يكون زمن النطق بها أقل منه في الصوائت الطويلة أو حروف المد واللين، وكأن ابن جني لديه جهازيقيس به زمن النطق بينهما. وقد سجل عالم الأصوات الإنجليزي (دانيال جونز) أنوتتضاعف في حالةCPSالفترة الزمنية المستغرقة لإنتاج الصائت القصير= ٣٠٠

إنتاج الصائت الطويل أي = ٦٠٠ فالفرق في الكمية والزمن[٢].

٢/معيار عدد المكونات الصوتية للمقطع:

تصنف المقاطع تحت هذا الإطار أو المعيار إلى قصير ومتوسط وطويل

أ/ المقطع القصير: ص ح

يوصف المقطع بأنه قصير إذا لم يكن مشتملاً على أكثر من صوتين (صامت + صائت) = ص ح مثل: ل =ص ح أو حرف العطف (و) =ص ح وغيرها.

ب/المقطع المتوسط: سواء أكان المقطع مغلقاً (ص ح ص) أم مفتوحاً (ص ح ح) فإنه يوصف بأنه متوسط إذا كان مشتملاً على ثلاثة أصوات أو صوتين أحدهما طويل فمثلاً / لم – لن (الذي يقابل المقطع المتوسط المغلق ص ح ص) يشتمل على ثلاثة أصوات أما (لا– ما) المقطع المتوسط المفتوح = ص ح ح ويشتمل على صوتين أحدهما طويل أو صائت طويل بمعنى أن يكون أحد حروفه حرف مد.

ج/المقطع الطويل: ويتكون من أربعة أصوات أو من ثلاثة أصوات بعضها طويل وهو يقابل على التوالي المقطع الرابع (المقطع الطويل المغلق) = ص ح ح مثل

(١) سر صناعة الإعراب –ابن جني ج١ ص ٣٢.

(٢) الأصوات اللغوية – عبد القادر عبد الجليل ص ٢٢٧

المقطع الأخير من قوله " نستعين " (عين) أو يقابل المقطع الخامس = الطويل المزدوج الإغلاق = (ص ح ص ص) المؤلف من أربعة أصوات وهي (صامت + صائت قصير + صامت +صائت) ومثاله (أرض) أو (خبر) عند الوقف أو يقابل المقطع السادس (المقطع البالغ الطول المزدوج الإغلاق =ص ح ح ص ص) المؤلف من خمسة أصوات أحدهما طويل وهي (صامت +حركة طويلة + صامت +صامت) ومثاله (راد) عند الوقف.

والحقيقة أن الأساس الذي بني عليه هذا التقسيم أو التصنيف هو معيار المكونات الصوتية للمقطع ،فالمقطع (ص ح) المكون من صوتين أخف نطقاً من المقطع الطويل المكون من أربعة أصوات كالمقطع (ص ح ص ص) فعدد المكونات الصوتية التي تتألف منها المقاطع القصيرة تختلف عن عدد المكونات التي تتألف منها المقاطع المتوسطة أو الطويلة.

وبالتالي وتبعاً لهذا الاختلاف فإن الدلالة والخصائص والسمات التي تميز المقطع القصير تختلف بالضرورة عن الدلالة والخصائص والسمات التي يتصف بها غيره كالمقطع الطويل أو المتوسطة.

٣/ معيار نوع المكونات الصوتية للمقطع:

ويصنف المقطع تبعاً لهذا المعيار إلى:

أ/المقطع المفتوح: وهو المقطع الذي لا يشتمل على خاتمة أي أنه ينتهي بحركة قصيرة أو طويلة، ومثاله = المقطع الأول من كلمة " كَتَب، فالكاف + الفتحة =ص ح أو ما نسميه المقطع القصير أو (لا) حرف النفي أو أداة النهى فيتألف من (صامت +حركة مد طويلة = ص ح ح) أو ما يعرف عند علماء الأصوات بالمقطع المتوسط المفتوح وهذا التصنيف ذكره الدكتور إبراهيم أنيس عند حديثه عن أنواع المقاطع حين أطلق على النوعين الأول والثاني (ص ح) و(ص ح ح) ووصفهما بأنهما مقاطع مفتوحة وحين أطلق على المقطع الثالث (ص ح

ص) والمقطع الرابع (ص ح ح ص) والمقطع الخامس (ص ح ص ص) مقاطع مغلقة والمقطع السادس (ص ح ح ص ص)المزدوج الإغلاق[١].

ب/ المقطع المغلق: ويعرف بأنه المقطع الذي يشتمل على خاتمة ومن أمثلته ما ذكرناه

(المقطع = ص ح ص، ص ح ص ص، ص ح حص، ص ح ح ص ص).

وهذا التصنيف الذي ذكرناه يركز على نوع المكونات الصوتية للمقطع، فصفة الانفتاح لها دلالات ومواطن وخصائص وسمات تختلف عن صفة الإغلاق.

وخلاصة القول: إن هذا الملمح والتصنيف ليخدم الدراسة المقطعية ويكشف عن الدلالة بصورة يلحظها المتلقي والقارئ لكتاب الله العزيز ، هذا الإحكام في اختيار المقاطع الصوتية الذي بني عليه القرآن الكريم –ومنه أية الكرسي– يشكل إعجازاً صوتيا هادفاً من هنا حذا بنا البحث لإبراز هذا الإحكام ، فما رأينا عالماً بارعاً أو أديباً أو متحدثاً أو شاعراً أو ناثراً تكلّم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام ولا عرف حدود المقاطع ، ولا تفقد مقاطع الكلام لتتناسب وحق المقام ، ولا غاص في استخراج المعنى بألطف مخرج إلا العليم الخبير رب العرش العظيم.

٤/ معيار نوع المقطع وهويته وخصائصه وسماته:

ووفقاً لهذا المعيار ينقسم المقطع إلى:

١/المقطع الحر وهو: المقطع الذي يمكن أن يأتي في بداية الكلمة أو وسطها أو نهايتها[٢].

ومن أمثلته: أ/ المقطع القصير مثل: درس

(١)الأصوات اللغوية –إبراهيم أنيس ص ١٦٤ بتصرف.

(٢)علم الأصوات العربية – محمد جواد النوري وآخرون ص ٢٤١ .

ب/المقطع المتوسط المفتوح مثل: كلمة موسيقا.

ج/ المقطع المتوسط المغلق مثل: كلمة استفهم.

٢/ المقطع المقيد وهو: بخلاف الحر، ويعرف بأنه " المقطع الذي يلزم موقعاً معيناً في الكلمة[١]. ومن أمثلته:

أ/المقطع الطويل المغلق = ص ح ح ص ومثاله المقطع الأخير من الفاصلة القرآنية. في قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾البقرة: ٢، وهو (قين) =ص ح ح ص، حيث يكون هذا المقطع دائماً في أواخر الكلمات وحين الوقف، ولقد تكرر ذكره في سورة البقرة في فواصل الآيات، ليؤذن بانتهاء الحديث للبدء بحديث أخر.

وخلاصة ذلك أن لكل مقطع هوية وخصيصة يتميز بها عن غيره، وكل مقطع له مكان في الكلمة يرد فيها، ولا يرد في غيرها. هذه هي لغتنا الجميلة، بها نعرف، وبها نتميز عن غيرنا من أصحاب اللغات الأخرى.

خصائص النسيج المقطعي في اللغة العربية

وبعد أن عددنا أنواع المقاطع وذكرنا منها ستة مقاطع، وكما أوضحنا فإن معظم العلماء يؤكدون أن مقاطع اللغة العربية لا تتجاوز الخمسة[٢]، كما أن التحليل الذي سنقوم به لآية الكرسي سيكشف بحول الله عن أنواع المقاطع التي تتألف منها اللغة العربية ومقدار الشيوع لكل مقطع، ولكن الذي يهمنا في هذه الأسطر هو خصائص النسيج المقطعي للغة العربية.

أولاً : يبدأ المقطع في اللغة العربية بصوت صامت يتبعه صائت دائماً، ولا يجتمع صوتان صامتان في أول المقطع، وهو ما كان علماء العربية يعبرون

(١) علم الأصوات العربية – محمد جواد النوري وآخرون ص ٢٤١ .

(٢) الأصوات اللغوية – إبراهيم أنيس ص١٦٤ والمدخل إلى علم أصوات العربية –غانم قدوري الحمد ص١٩٧

عنه بقولهم: لا يبتدأ بساكن أو بمعنى لا يبتدأ بصوت صامت لا يتبعه حركة[١].

ثانياً: لا توجد كلمة في اللغة العربية تشتمل على أقل من مقطع واحد، فالمقطع يعد أصغر قطاع صوتي أو تجمع صوتي، فالكلمات (لا حرف نفي، وحرف الجر الباء وغيرها) تعتبر من الكلمات ذات المقطع الواحد فليس هناك أقل من حرف الجر " بِ " على سبيل المثال.

ثالثاً: بالنسبة لعدد المقاطع الصوتية في الكلمة الواحدة، التي يمكن أن يتشكل منها النسيج المقطعي، فقد تصل في لغتنا العربية من مقطع واحد إلى سبعة مقاطع. وكلمة "فسيكفيكهم الله "التي وردت في سورة البقرة نجدها تتألف من سبعة مقاطع صوتية وقد تصل عدد المقاطع إلى ثمانية في بعض الأحيان كما في كلمة " أفنلزمكموها "، وذلك نتيجة لاتصالها باللواصق فإذا كانت الكلمة العربية مؤلفة من مقطع واحد فإن هذا المقطع في اللغة العربية قد يتكون من مقطع قصير (ص ح) أو من النوع المتوسط المفتوح (ص ح ح) مثل أداة النداء (يا)أو من النوع المتوسط المغلق (ص ح ص) مثل:دم، يد وغيرها الكثير، أو من النوع الطويل المغلق عند الوقف (ص ح ح ص) مثل " باب" و "ميل"، أو من النوع الطويل المزدوج الإغلاق (ص ح ص ص) مثل:أرض ‘خبز ‘قدر وغيرها، أو من النوع البالغ الطول المزدوج الإغلاق (ص ح ح ص ص) مثل:(ضالّ) وغيرها ولكن معظم الكلمات في اللغة العربية تشتمل تقريباً على ثلاثة مقاطع أو أربعة.

رابعاً: إن أكثر المقاطع وقوعاً– كما سيتضح من خلال التحليل لآية الكرسي – المقطع القصير (ص ح)، ثم يليه المقطع (ص ح ص)، ثم المقطع المتوسط (ص ح ح)، وإن أقل المقاطع وقوعاً كان المقطع الطويل (ص ح ح ص)

(١) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص ١٦٣ ودراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر ص٢٦٠ بتصرف.

والمقطع (ص ح ص ص)، وهذان المقطعان لا يردان إلا عند الوقف.

خامساً: تجيز العربية توالي المقاطع القصيرة (ص ح) والمقاطع المتوسطة المغلقة (ص ح ص) وقد وصل توالي المقطع (ص ح ص) على سبيل المثال في قوله: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾البقرة: ١٨، إلى ست مرات بطريقة متتابعة ، حيث إن هذا التتالي قد خدم المعنى بصورة مباشرة ، واللغة العربية تميل في تطورها إلى التخلص من توالي المقاطع القصيرة (ص ح) ، على الرغم من تكرارها بصورة متتابعة في الكثير من المواقع في سورة البقرة ، والحقيقة أن د. إبراهيم أنيس قصد عندما ذكر المقطع (ص ح ح) من قوله " فإن تواليها مقيد وغير مألوف في الكلام العربي ولا يسمح هذا الكلام بتوالي أكثر من اثنين من هذا النوع[١].

أي أن توالي المقطع (ص ح ح) في الكلمة الواحدة، وليس في عدة كلمات كما ورد من خلال تحليلنا لسورة البقرة فقد ورد ذلك التتابع والتتالي في أكثر من موقع ثلاثة أو أربعة مقاطع في أكثر من كلمة، ولا ننسى أن نقول: إن هذا التتالي يكون في كلمة تخلو من اللواصق أي مجردة. ولا تقبل اللغة العربية في نسيجها المقطعي كلمة مجردة مؤلفة من أربعة مقاطع من النوع القصير (ص ح)، أما المؤلفة من ثلاثة مقاطع فهي كثيرة مثل: درس، رسم وغيرها..

سادساً: تقع الأنواع المقطعية القصيرة (ص ح) والمتوسطة بنوعيها (ص ح ص) و (ص ح ح)، في أول الكلمة أو أوسطها أو آخرها، ويطلق عليها المقاطع الحرة وتقع المقاطع الطويلة (ص ح ص ص)، (ص ح ح ص)، (ص ح ح ص ص)، في نهاية الكلمة ويطلق عليها المقاطع المقيدة.

سابعاً: يعتمد تقسيم المقاطع إلى مقاطع قوية وأخرى ضعيفة على معيار

(١) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص١٦٥

الزمن الذي يستغرقه النطق بلب المقطع (النواة والخاتمة) وبهذا المعيار نستطيع أن نقول إن النطق بفاصلة القرآن لا يرجعون " عون " =ص ح ح ص يستغرق زمن النطق به أكثر من المقطع المتوسط (ير=ص ح ص أو القصير (جِ)=ص ح) وهذا بدوره كما أسلفنا ينسجم مع الدلالة.

ثامناً: من سمات المقاطع وخصائصها في اللغة العربية، الوضوح السمعي في بعض المقاطع يطلق عليها " المقطعية " وأن هناك مقاطع أخرى تتميز بوضوح سمعي أقل من سابقها ويطلق عليها " غير المقطعية " وبعبارة مختصرة " إن الأصوات الساكنة بطبيعتها أقل وضوحاً في السمع من أصوات اللين.

تاسعاً: تشتمل اللغة العربية على نوعين من المقاطع الصوتية " متحرك" و " ساكن" فالمتحرك هو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، أما المقطع الساكن فهو الذي ينتهي بصوت ساكن، " علماً بأن العربية تؤثر المقاطع الساكنة أكثر من المتحركة[١].

(١)الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص١٦٠– ١٦٤ بتصرف.

أهمية دراسة المقطع الصوتي في الدراسات الحديثة

بادئ ذي بدء لابد من الإشارة إلى أنه " حدث خلاف بين العلماء في الدراسات الصوتية المبكرة حول أهمية المقطع، وانقسم العلماء ما بين مؤيد ومعارض وكل نظر إليه حسب وجهته، ولا يسعنا هنا أن نذكر كل ما ورد من آراء من المؤيدين او المعارضين، فيمكن الرجوع إلى كتاب دراسة الصوت اللغوي لأحمد مختار عمر والاستزادة مما كتبه في هذا الصدد[١].

إن أهمية دراسة المقطع الصوتي من وجهة نظري ترجع للأسباب التالية:

١/ للتقسيم المقطعي أهمية كبيرة في اكتساب اللغة وتعلمها، فمن الثابت " أن أيسر طريق لاكتساب طريقة نطق اللغة هو أن تقطع الكلمة إلى مقاطعها الحقيقية، تبعا للنماذج المقطعية للغة ... وأن ننطق كل مقطع على حدة وبطريقة متميزة ثم بعد ذلك نضع المقاطع بعضها بجانب بعض وننطقها بنفس السرعة التي تنطق بها في الكلام العادي[٢].إذن للدراسات المقطعية فائدة على المستوى الوظيفي التعليمي للغة، فهي ضرورية جداً في أثناء عملية تعليم لغة ما للأجانب أو للمبتدئين في التحصيل اللغوي في اللغة نفسها، ولهذا نجد أن الدراسات المقطعية قد أسهمت في وضع الطرق السليمة للتعليم في بعض المناهج التربوية، كالطريقة التحليلية التي تستخدم في المدارس العربية، وهي التي تبدأ بتعليم الكل ثم الجزء (المقطع) ثم الحرف، ولقد أثبتت هذه الطريقة نجاحها في تربية النشء في مدارسنا في معظم دول العالم التي تستخدمها ، فهي أيسر الطرق على المتعلم، حيث يقوم فيها المتعلم بتبين المكونات المقطعية للكلمة ثم يتعلم النطق بكل مقطع على حدة، ومن ثم يضمها بعضها لبعض ثم ينطق بالكلمة بنفس السرعة التي ينطق بها الكلام العادي.

(١) دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر ص ٢٤٢.

(٢) أسس علم اللغة لماريوباي ترجمة د. أحمد مختار عمر جامعة طرابلس ليبيا ١٩٧٣ ص ٢٨٥.

من هنا أقول إن دراسة المقطع الصوتي تعتبر أساساً، لاكتساب طريقة النطق أو التعود على النطق السليم، ومن ثم تحليل المنطوق وفهمه.

٢/تعد دراسة المقطع مهمة في التعرف على طبيعة نسيج الكلمة إذا كان هذا النسيج متوافقاً او مخالفاً لما يسمح به نظام اللغة العربية في صياغة مفرداتها وبناها اللغوية(١).

٣/إن دراسة المقطع والتعرف على بنية النسيج المقطعي للغة يعدان أمرين ضروريين قبل الشروع في عملية دراسة الفونيمات غير التركيبية (النبر والتنغيم) وذلك لأن المقطع هو الوحدة التي تتأثر بالملامح أو الفونيمات غير التركيبية.

٤/أصبحت دراسة المقطع الصوتي بالغة الأهمية في ميدان الدرس العروضي للشعر فالدراسات العروضية ما هي إلا تفعيلات ومقاطع يمكن من خلالها تحليل النسيج المقطعي للشعر ومعرفة خصائص المقاطع العروضية ومميزاتها وسماتها.

٥/يمكن أن تسهم الدراسة المقطعية في تحليل صوت معين أو مجموعة أصوات تعد من الناحية الصوتية غامضة، بمعنى أنها تسهم في معالجة قضايا لغوية كثيرة وتفسرها تفسيراً أقرب إلى طبيعة اللغة وواقعها ومنها همزة الوصل ... التقاء الساكنين....(٢).

٦/ الدراسة المقطعية تفيد وتسهم في تحقيق القراءة السليمة للقرآن الكريم وتحقيق القراءة السليمة للقرآن يتطلب الآتي:

١/ معرفة أحكام التلاوة والتجويد وقواعدهما من مد وإدغام ووصل وفصل وغيرها.

٢/ سلامة النطق وسلامة أعضاء الصوت وخلوها من أي عيب أو خلل.

(١) علم الأصوات العربية – محمد جواد النوري ص ٢٤٩.

(٢) المدخل إلى علم أصوات العربية – غانم قدوري الحمد ص ٢٠١-٢٠٤

٣/جهارة الصوت وموسيقاه، والحس اللغوي السليم.

٤/ صحة القراءة وصحة مخارج الحروف، ومعرفة حدود المقاطع الصوتية، وذلك لأن ما يقع من خطأ نتيجة عدم نطق الحروف من مخارجها بشكل صحيح أو نتيجة عدم إتقان القراءة أمر يجعل التساوق والانسجام ضعيفاً بين المتحدث أو القارئ وبين السامع ... ويذهب بانتباه السامع، وبالتالي يفقد إثارة الاهتمام بما يسمع(١).

وفي نظري أن عدم إلمام القارئ للقرآن خاصة بمخارج الحروف والمقاطع الصوتية من شأنه أن يحدث عدم انسجام بين النص القرآني والسامع، وبالتالي يضيع المعنى، وتصبح القراءة آنية ليس فيها ما يؤثر في السامع، لهذا نرى أن الدراسة المقطعية في القرآن الكريم ضرورية جدا لجودة الأداء وتحسين النطق بالكلمات والجمل والعبارات، لتؤثر في السامع.

(١) فن الإلقاء – محمد عبد الرحيم – دار الفكر – عمان – ١٤١٦/١٩٩٥ ص١٧-١٩

دراسة تطبيقية للنظام المقطعي في آية الكرسي

في يقيني أن وضع آية الكرسي في مكانها هذا من السورة ينطوي على حكمة عظيمة فآية الكرسي تدلنا إلى أنه إذا أردنا تطبيق المنهج الصحيح في خلافة الأرض، فإن هذا يستلزم عبء استشعار قدرة الله وعظمته، فخلافة الأرض عبء ثقيل، يتطلب الجهد الكثير، كيف لا وهو المنهج القويم السليم، فالله لا إله إلا هو الحي القيوم، ملك الملوك له ميراث السماوات والأرض، ونحن مستخلفون في الأرض، لذا فهي أمانة في أعناقنا يجب المحافظة عليها باتباع أوامره وتجنب نواهيه.

ومن هنا نرى أن خطوات تحليل المقاطع الصوتية يجب أن تسير في خط مستقيم، وبطريقة متداخلة بين " الصوت والصورة وأنا أقصد بالصورة هنا المعنى الذي ترمي إليه الآية.

التحليل الصوتي والمقطعي لآية الكرسي

القرآن العظيم قاموس صوتي حافل بالكثير من القيم الصوتية المتنوعة، فأي حذف أو تقديم أو تأخير لم يجئ في موضعه إلا لهدف أراده الله، فكل عبارة فيه وكل كلمة وضعت بإحكام بل وكل حرف أو صوت له قيمته الصوتية الأصيلة.

والحقيقة أن القرآن ما هو إلا صوت و صورة، صوت نقل بالتواتر من السلف إلى الخلف، و صورة تدل على الحركة اللامتناهية في آياته و معانيه، لذا لا يجوز لأي منكر أو جاحد أن يطلق على حروفه و كلماته أنها " حروف أو أصوات انتهت منذ أن انقطع نزول الوحي علي محمد صلي الله عليه وسلم قبل ألف وأربعمائة عام لهذا يقول سيد قطب – رحمه الله–: "قليل من سور القرآن هو الذي يعرض صامتاً ساكناً – لغرض فني يقتضي الصمت والسكون – أما أغلب السور ففيها حركة مضمرة أو ظاهرة، حركة يرتفع بها نبض الحياة، وتعلو بها حرارتها. هذه الحركة ليست مقصورة على مشاهد القصص والحوادث،

ولا علـى مشـاهد القيامـة ولا علـى صـور النعـيم والعـذاب أو صـور البرهنـة والجدل ... هذه الحركة هي التي نسميها التخيل الحسي "، ولست مبالغاً إن قلت بـأن هـذه الحركـة ليسـت مقصـورة علـى حركـة السـور التـي ذكرهـا السـيد قطـب فحسب، بل تتعدى في ذلك إلى حركة الحروف والمقاطع الصوتية لكل لفظة في آية وكل آية في سورة وكل سورة في كتابه العزيز، وهذه الحركة التي في حروف القرآن وأصواته ومقاطعه هي ما نطلق عليه الإيقاع الموسيقي الذي ينبع من عوامل كثيرة، أهمها: التوافق الحركي والنغمي وفق نظام بديع، وهذا يقودنا إلى تعريف الإيقاع، وتشير الدراسات الحديثة إلى أن الإيقاع هو تلك " الفاعلية التي تنقل إلى المتلقي صاحب الحساسية المرهفة الشعور بوجود حركة داخلية ذات حيوية متنامية تمنح التتابع الحركي وحدة نغمية عميقة[١].

الإيقاع في القرآن الكريم:

مما لا مراء فيه أن هذه الدراسة تجعل من الواجب علينا أن نذكر أن الإيقاع ما هو إلا وسيلة سخرها الخطاب القرآني العظيم بغية تأدية الغرض الديني المنشود، إضافة إلى الغرض الفني الذي يهدف إلى التأثير والتمكين في المتلقين بقصد الاستجابة والإذعان والإيقاع في القرآن الكريم ألفيناه إيقاعاً مميزاً جعل من القران الكريم تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن الكريم في رصف حروفه وترتيب كلماته ترتيباً خاصاً وهو ترتيب ونظام تعاطاه الناس في كلامهم[٢].

إذن نحن أمام نظام تمثل في رصف حروف القرآن وفي ترتيب كلماته، وما نتج عنها من حركة مقاطعه الصوتية، وما هذا إلا ضرب من ضروب الإيقاع في الخطاب القرآني.

---

(١) في البنية الإيقاعية للشعر العربي– كمال أبو ديب – دار العلم للملايين– بيروت –ط٢ – ١٩٨١ – ص٢٣٠

(٢) مناهل العرفان في علوم القران محمد عبد العظيم الزرقاني – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ط ٢– ١٤٢٤–/٢٠٠١ –ج٢ ص١٩٤

إن الذي دفعنا إلى الاهتمام بهذا الإيقاع هو خروج هذه الإيقاعية من منظومة أشعار العرب، وفي نظري أن هذه الإيقاعية المتميزة قد منحت القرآن مكانة خالدة في نفوس متلقيه، ولكن يبقي السؤال الذي طرحناه في مقدمة البحث: من أين جاءت هذه الإيقاعية الخالدة؟ هل جاءته من " اتساق القرآن وائتلاف حركاته وسكناته ومداته، وغناته، واتصالاته، وسكتاته[١].فقط أم من معانيه وتشريعاته؟ والحقيقة أن تلك الإيقاعية قد نجمت من اجتماع الأمرين السابقين معاً، لذا لا يمكن لدارس الصوت القرآني أن يقف في تحليلاته وتفسيراته على الإيقاعية في الجانب الصوتي فقط، بل يجب مراعاة الغرض الديني الذي يهدف إليه القرآن الكريم، ليحدث بذلك التمكين والتأثير والاستجابة والإذعان، لهذا رأينا أن ننطلق في بحثنا هذا– دراسة النظام المقطعي الصوتي في اللغة العربية بين النظرية والتطبيق(أية الكرسي أنموذجاً) وفق ما تحدثه حركة المقاطع الصوتية في الآية من إيقاعية متميزة، لا نجدها إلا معبرةً عن الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، إذن لابد أن نشير هنا إلى أن الخطاب القرآني لا يفهم من خلال أحد مستويات الدراسة اللغوية كالتحليل اللساني أو الصرفي أو الصوتي أو التركيبي أو الدلالي، بل يفهم من خلال تطبيق كل هذه المستويات مجتمعة، ونحن في تحليل الخطاب القرآني في المقاطع الصوتية نتبع المنهج الشمولي من خلال استقراء النص القرآني في آية الكرسي، ومن ثم نربط ما توصلنا إليه بالمستويات الأخرى بنظرة شمولية ، فلا نركز على مستوى أو جانب معين دون الآخر، لهذا لا نجد بداً من ربط تحليلات المقاطع الصوتية بالمستوى الصرفي الذي يتناول الظواهر المتصلة بالكلمات المفردة، تلك الكلمات التي تمثلها الصيغ والمقاطع والعناصر الصوتية الدالة على الوظائف الصرفية ، أو أن نربطها بالتحليل

(١) التعبير الفني في القران الكريم – بكري شيخ أمين ط ٤ –دار الشروق– ١٩٨٠ ص ١٨٥.

التركيبي الذي يعنى بدراسة تركيب الكلمات داخل الجمل النحوية، أو بالمستوى الدلالي من خلال الاستعمال اللغوي والسياق الذي ترد فيه الكلمة أو التركيب أو الجملة، أو بالمستوي المعجمي الذي يقوم على إعطاء المعاني للمفردات أو التراكيب، أو بالمستوى البلاغي الذي يسعى فيه كل من علم البيان والبديع والمعاني على إبراز الفكرة لتجلية المعني وتحسين الأسلوب ، أو بالمستوى الفلسفي والنفسي والاجتماعي لما لهذه المستويات من فلسفة معينة في التعبير القرآني عن الكون أو الإنسان أو الأمم الغابرة أو قصص الأولين وما حدث لهم وكذلك يرتبط التحليل الصوتي بالمستوى الفكري والمنطقي الذي سار القرآن وفقها في التعبير عن القضايا والأحداث والمواقف المختلفة، والتي يمكن أن تتمثل في التشريعات والأوامر والنواهي التي ساقها الله لنا في سورة البقرة، ويمكن أن يلحظ المتتبع للتحليل الصوتي المقطعي ارتباط التحليل بوقت النزول ومكانه، لأنه كما يقول الزركشي " طرق قوي في فهم معاني الكتاب ... حتى يكون الوقوف على دوال ومدلولات هذه النصوص وقفاً صحيحاً"(١).

وبما أن القرآن نزل بلغة العرب ووفق أساليبهم وعلى طريقتهم في التعبير عن أغراضهم ومقاصدهم ونزل لقوم برعوا في البيان، فقد جاء يتحداهم في فصاحتهم وبلاغتهم فانفرد بخصائص كثيرة جعلته يفوق الأساليب الأخرى سمواً وعلواً وتفرداً وفصاحةً وبلاغةً وبياناً، ونحن من خلال تحليلنا الصوتي والمقطعي نضيف تحدياً آخر يعجز العلماء ويقف الإنسان أمامه مبهوتاً، وجدناه في انسجام الخطاب الصوتي والموسيقي بين عباراته وحروفه ومقاطعه، لما يسهم في تحقيق الغرضين الديني والفني فيه.

(١) البرهان في علوم القران – للزركشي –ت – محمد أبو الفضل إبراهيم –دار المعرفة للطباعة والنشر –بيروت –لبنان – ط٢ – ١٩٧٢ – ج١ – ص٢٢.

جماليات التشكيل الصوتي المقطعي في آية الكرسي

آية الكرسي:

وهي الآية رقم (٢٥٥) من سورة البقرة، آية عظيمة بكل ما تحمله الكلمة من معان يجمع العلماء بأن فضلها عظيم، ولا مجال هنا للإطالة في ذكر هذا الفضل سواء كان في قراءتها عقب كل صلاة أو في الليلة، عند القيام وغيرها.

وقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم بأنها نزلت من كنز تحت العرش،" سميت بذلك الاسم لاشتمالها على لفظ الكرسي، والثابت أن الكرسي غير العرش وأن العرش أكبر منه"(١).

والذي يهمنا هنا في دراستنا أن الآية عند تحليلها صوتياً – مقطعياً – نجد أن: –

قَالَ تَعَالَىٰ:أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾البقرة: ٢٥٥

التحليل المقطعي:

–**أولاً:** بإمعان النظر في الآية الكريمة نستنتج من خلال التحليل المقطعي أن عدد المقاطع في الآية (١١٦) مقطعا صوتيا موزعة على النحو التالي: –

١/ المقطع القصير (صح) وعدد تجمعاته في الآية ٤٤ مقطعا.

٢/ المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) وعدده ٣٦ مقطعا.

٣/ المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح) وعدده ٣١ مقطعا.

٤/ المقطع الطويل المغلق (ص ح حص) وعدده مقطعان (شاء – ظيم).

(١) الأصوات اللغوية –د. إبراهيم أنيس ص١٦٦.

٥/المقطع الطويل المزدوج الإغلاق (ص ح ص ص) وعدده ٣ مقاطع تجمعت في كلمات(نوم – أرض تكررت مرتين).

– **ثانياً:** لقد اشتملت الآية على ثلاثة مقاطع من النوع الخامس النادر الشيوع في الكلام العربي ، وهو المقطع الطويل المزدوج الإغلاق (ص ح ص ص) وكان في ثلاث كلمات (نوم – أرض – أرض) ، ومن اللافت للنظر أن كلمة (أرض) تكررت مرتين لتأخذ نفس المقطع، واشتملت أيضاً على مقطعين من النوع الرابع (ص ح ح ص)، ويؤكد: د. إبراهيم أنيس بأن المقاطع الثلاثة الأولى من المقاطع العربية هي الشائعة وهي التيتكون الكثرة الغالبة من الكلام العربي، أما النوعان الأخيران أي الرابع والخامس ويقصد هنا (المقطع ص ح ص ص – ص ح ح ص) فقليلا الشيوع، ولا يكونان إلا في أواخر الكلمات وحين الوقف.

ثالثاً: ومن اللافت للنظر عند التحليل المقطعي لآية الكرسي نجد توالي المقاطع في الآية على النحو التالي: –

١/ المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) كان التوالي على مستوى أربعة مقاطع من نفس النوع، وذلك في قوله:(هو الحي القيوم) وبواقع ثلاثة مقاطع متوالية مثل (بإذنه يعلم) و(إذ/ نه) و(يع)وكذلك بشيء من علمه (دن/من/عل) ثلاثة وكذلك تكرر المقطع بطريق متتالية في الآية.

وهنا نرى أن هذا التوالي اختص به الخطاب القرآني أيضا في هذه الآية العظيمة، وهذا يؤكد ما رآه الدكتور إبراهيم أنيس من حيث توالي المقاطع فقال: " وتوالي المقاطع من النوع الأول (ص ح) أو من النوع الثالث (ص ح ص) جائز مستساغ في الكلام العربي، وإن كانت اللغة العربية في تطورها تميل إلى التخلص من توالي النوع الأول أما توالي النوع الثاني (يقصد هنا المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح) فهو مقيد غير مألوف في الكلام العربي، ولا يسمح الكلام العربي

بتوالي أكثر من اثنين من هذا النوع[١].

والذي نود توضيحه هنا أن هذا التوالي الممنوع الذي قصده إبراهيم أنيس هو الذي يكون في كلمة واحدة بعينها، وليس في عدة كلمات، فمن ينظر إلى توالي المقطع (ص ح ص)، بواقع أربعة أو ثلاثة يجد أنه مألوف ويحمل معنى منفردا في صفة دون غيرها، وفي الآية نجد أن صفة " الحي القيوم" اختص بها الله فلا يحملها أحد سواه ولا يمكن أن يختص بها أي مخلوق، وكذلك صفة العلم في قوله: (بشيء من علمه). فهذه الخصوصيات العظيمة والصفات المفردة لا يمكن لأحد أن يتصف بها، فمن هناكان توالي المقاطع الصوتية من النوع (ص ح ص)، أنسب المقاطع لتوكيد تلك الصفات، فإغلاق المقطع دلالة على القطع والجزم والتوحد والاختصاص.

وخلاصة القول: إن الحي القيوم اسم من أسماء الله الحسنى لا يختص به بشر أو ملك مقرب أو جان، بل حمل بكل معانيه "إن الله جل جلاله الواحد الأحد الفرد الصمد ذو الحكمة الكاملة الباقي الدائم الذي لا يموت، القائم على تدبير شئون الخلق بالرعاية والحفظ والتدبير لا يختص بهذه الصفات أحد، وخير وسيلة صوتية لتأكيد هذه الخصوصية المقطع (ص ح ص)، وقد لمسنا تلك السمات الصوتية لهذا المقطع في تواليه بواقع ست مرات متتابعة في وصف الله للمنافقين في قوله تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾البقرة: ١٨

بقي أمر آخر تنبغي الإشارة إليه وهو أن القارئ لا يجد في توالي هذا النوع من المقاطع أي نوع من الثقل على اللسان أو النشاز في السمع، بل يحرك في نفس السامع صفة التوحد والتفرد الذي وصف الله بها المنافقين أو غيرهم كما أن توالي هذا المقطع يضفي على النص إيقاعا موسيقياً كما يضع لبنةً في البناء الصوتي والموسيقي في معمار السورة.

(١)الأصوات اللغوية –د. إبراهيم أنيس ص١٦٦.

الحركة المقطعية في الآية ودلالاتها: -

١/المقطع المتوسط المغلق: (ص ح ص)

لقد جاء تكرار هذا المقطع (ص ح ص) في الآية بواقع ستة وثلاثين مقطعا صوتياً ولقد جاءت حركته بصورة متناهية في الدقة، دلت على نفسها مرة وعلى معنى الآية مرة أخرى فانظر معي إلى قوله تعالى:

(الله لا الـه إلا هـو الحـي القيـوم) مـرة أخـرى لنـرى أن الله: فـي خطابـه ذكر (الحي) ولم يذكر (حي)، فحي من حيث النظام المقطعي تختلف في تجمعاتها المقطعية عن (الحي) وقيوم أيضا تختلف عن القيوم في المقاطع، والناظر في الحركة المقطعية لقوله "هو الحي القيوم" يلمس تكرار المقطع (ص ح ص) أربع مرات.

والحقيقة أن (أل) التعريف والذي حملت المقطع (ص ح ص) دلت على الكمال لأن ما سواه يصيبه الموت، فلو نقص هذا المقطع (أل) (ص ح ص) لما دل لغويا على هذا الكمال، وكذلك في القيوم أيضا لاحظنا بان اكتمال الحركة المقطعية لهذا المقطع حصرت القيامة التي بمعنى التدبير لأمر الخلق أو القائم على كل شيء في (أل) التعريف (والمقطع ص ح ص)، وبذلك تكتمل حركة المقطع بأن تجمعت في هذين الاسمين أربعة مقاطع متوالية وذلك لتدل على الحصر والقصر في أنه الحي القيوم فليس سواه.

هذه الروعة والدقة المتناهية حتى في اختيار المقاطع، وخاصة (ص ح ص) المتوسط المغلق، لا يمكن أن تكون قد جاءت صدفة بل جاءت عن قصد من حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم وإننا حيال ذلك لنشعر بشيء غير بشري في هذا المقطع (ص ح ص)وكأنه جاء في موضعه ولا يمكن استبداله بغيره من المقاطع، جاء ليعطي نفس الإيقاع والنغم والحركة والتمام والقصر، فقد أحكم توظيف المقطع (ص ح ص) في الموضع الذي شاهدناه ولمسناه، بل وحقق لدى المستمع والمتتبع له الغنى عمن سواه من البشر.

٢/ المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح):

لو دققنا النظر في حركة هذا المقطع في قوله تعالى:(له ما في السماوات وما في الأرض) لوجدنا (ما) (ص ح ح) جاءت لتفيد الإحاطة والشمول للعقلاء وغيرهم من غير العقلاء وهذه الإحاطة والشمول بما في السماوات تكررت لما في الأرض فمن الطبيعي أن يكون المقطع مفتوحاً (ص ح ح) ليدل على هذه الإحاطة، فلو أغلق المقطع وصار (ص ح ص) كأن يقول:(من في السماوات)(من= ص ح ص) لما تحقق معنى الإحاطة والشمول الكاملين لله – وحاشا الله –، فقد جاء المقطع بحركة مبهرة في انفتاحه المغلق ليؤكد المعنى المقصود من الآية.

ومن الطبيعي هنا أن نقول: إن المقطع (ص ح ح) قد أغنى الجانب الصوتي بإيقاعاته الموسيقية وفي حركته وتجمعاته في الآية كيف لا وهو لا يصدر إلا عن حكيم حميد محيط بكل ما في السماوات وما في الأرض وتستمر حركة المقطع (ص ح ح)المتوسط المفتوح لتدلل على الاتساع الهائل في السماوات هذه السماوات الكبيرة الواسعة التي لا يعلم مداها إلا الله بحركة مقطعية متواصلة للمقطع (صح ح) في { ما – وا } نقول ليس هذا من قبيل الصدفة بل دليل على سعة علم الله التي لا يضاهيها شيء ، نكتفي بهذا القدر للحركة المقطعية للمقطع (ص ح ح) الذي كان في حركته ذو دلالة واضحة على الانفتاح المطلق والشمول والإحاطة بكل ما في السموات وما في الأرض تارة وعلى السعة لملك الله تارة أخرى ، ونلمسه تارة ثالثة يفيد التعظيم في حركة المد في قوله تعالى(لا إله إلا هو)حيث تجمع هذه الجملة مقطعين (لا) (لا) (ص ح ح)، وقد أضاف بعض علماء التجويد سبباً معنوياً للمد غير الهمزة والسكون فقالوا: السبب المقتضى لزيادة المد قسمان = معنوي ولفظي، فأما المعنوي هو قصد المبالغة في النفي من قبل (لا ريب فيه) ومنه مد التعظيم في نحو (لا إله إلا الله)[١].

(١) النشر – ابن الجزري – ٣٤٤/١ ومرشدة المشتغلين للطبلاوي ١٠ نقلاً عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد غانم قدوري الحمد – دار عمار – عمان ط١ –١٤٢٤ /٢٠٠٣ ص ٤٤٣.

٣/المقطع الطويل المغلق (ص ح ص ص)

وهذا المقطع نادر الشيوع والاستخدام في الكلام العربي حيث لا ينطق به إلا عند الوقف، وكما لاحظنا أن هذا المقطع تكرر في آية الكرسي ثلاث مرات مرة في كلمة (نوم)كاملة، ومرتين في المقطع الأخير في كلمة "الأرض" ولعل المستمع لأي من المقرئين يجده يقف عند قراءته للأرض لينتج من قراءته هذا المقطع.

وعندما نتتبع هذا المقطع نجده يتكون من (صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت) أي من مقطعين (ص ح ص) + (صح) عند تحريك الحرف أو الصامت الأخير (ض)ويمكن القول بأن هذا المقطع على الرغم من ندرة وجوده في الشعر العربي أو الكلام العربي إلا أنه يحمل سمة الطول والإغلاق في آن واحد، وهذا يدل على عظم وأهمية هذا المقطع في انطباقه على حروف الكلمة الذي نقف عندها. ففي قوله " لا تأخذه سنة ولا نوم " ينفي الله تعالى عنه النعاس الذي يتقدم النوم والنوم معاً بصورة الجمع ولا ينفى الإفراد لأحدهما، والنوم شيء مهم بالنسبة للإنسان الذي وضع الله فيه هذه الخاصية في حين غير مهم بالنسبة لرب العزة لأنه لا يحمل هذه الخاصية فلو نام سبحانه لفسد الكون، أما أهميته بالنسبة للإنسان ففيه راحة وهذه الراحة جاءت في القراءة عند الوقف على الصامت الأخير، فالمقطع (ص ح ص ص) في طوله يدل على الراحة، فالخطاب القرآني على الرغم من أنه يحمل المعنى القريب ألا وهو أن الله ينفي عنه خاصية النوم ، فهو يثبتها للإنسان، فدل الوقف على الهدوء والراحة التي يحصل عليها الإنسان عند النوم ، وحمل هذا المقطع صفة الإغلاق التام في نفيه التام عن نفسه تعالى صفة النوم. أما في المقطع الأخير من كلمة الأرض (أرض) فالوقف عندها أولى كما نلاحظ في القراءة، وهذا الوقف يدل أيضاً على السعة والشمول المطلق لما في الأرض في الآيتين.

وخلاصة القول: إن هذا المقطع (ص ح ص ص) قد عمل على إغناء هذه

الآية العظيمة بالجانب الصوتي الموسيقي والإيقاع الموسيقي الرنان، وإن اتفاق الحركة المقطعية في الدلالة مع الكلمات والمعاني لا يدل إلا على العلّي العظيم.

لقد آثرت أن أبين جماليات المقاطع الثلاثة السابقة لما لها من أهمية كبيرة في هذه الآية العظيمة، تاركاً جماليات المقطع القصير لمباحث أخرى إن شاء الله تعالى.

ولقد كانت المقاطع (ص ح ص)(ص ح ح)(ص ح ص ص) في حركة دائمة أدت إلى إكساب النص القرآني جمالاً ورونقاً، وأضفت على النص دلالة صوتية موسيقية إيقاعية لمسناها في حركة هذه المقاطع على جانب الدلالة المعجمية والتفسيرية للآية ونحن نعلم أن هذه الآية على عظمها لم نوفها حقها مهما كتبنا وشرحنا لأنها آية نزلت من تحت العرش كما أخبرنا رسولنا الكريمﷺ.

الخاتمة

وبعد هذه التطوافة السريعة والجولة الخاطفة مع دراسة النظام المقطعي في العربية بين النظرية والتطبيق آية الكرسي (أنموذجاً) أريد أن أسرد هنا بعضاً من النتائج والتوصيات التي وصل إليها البحث والمتمثلة في الآتي:

١- **أولاً: النتائج:**

– مصطلح المقطع الصوتي عرفه علماء العربية القدامى بجانبه النظري وليس العملي.

–التوازن في النظام المقطعي قد حقق للخطاب القرآني إيقاعاً موسيقيا وصوتيا بارعاً.

– التدرج في التجمعات المقطعية في آية الكرسي (عدد الوحدات المقطعية الصوتية).

– محاكاة المقطع للمعنى طبيعية وغير مفتعلة.

– أظهر الجانب الإحصائي أن المقطع الذي يتألف من (صامت + صائت) هو أكثر المقاطع الصوتية تكراراً في الآية.

– المقاطع الثلاثة (ص ح –ص ح ص –ص ح ح) هي المقاطع الشائعة في الآية.

– المقطع الصوتي (ص ح ح ص) من أقل المقاطع تكراراً ولا يظهر إلا عند الوقف.

أبرز التوصيات تمثلت فيما يلي:

- ضرورة دراسة البنية المقطعية الصوتية للقرآن الكريم، والوقوف على خصائص النسيج المقطعي فيه.
- إبراز بعض من الوسائل الصوتية التي شكلت الوحدات الصوتية في سور وآي القرآن الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- القرآن الكريم.

ثانياً: المراجع:

- أسس علم اللغة، لماريوباي، ترجمة د. أحمد مختار عمر، جامعة طرابلس، ليبيا.
- الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط٤/١٩٧١م.
- أصوات اللغة، لعبد الرحمن أيوب، مطبعة دار التأليف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م.
- أصوات اللغة، لعبد الرحمن أيوب، مطبعة الكيلاني، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٨م.
- الأصوات اللغوية، لعبد القادر عبد الجليل (الجامعة الهاشمية)، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١/ ١٤١٨ /١٩٩٨
- البرهان في علوم القران، للزركشي، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢/ ١٩٧٢م.
- البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق/ عبد السلام هارون، ط/ مكتبة الخانجي، القاهرة، ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٦٨م.
- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط الثالثة/ ١٩٧٧م.
- التطور النحوي للغة العربية، لبراجشتراسر، أخرجه وصححه د. رمضان عبد التواب، ط/ مكتبة الخانجي، القاهرة ، ودار الرفاعي، الرياض، ١٩٨٢م.
- التعبير الفني في القران الكريم، لبكري شيخ أمين، ط ٤ – دار الشروق– ١٩٨٠م.
- تقويم النظر في الأدلة واختلاف الفقهاء، لمحمد علي الدهمان (ت ٥٩٢هـ)، مخطوط في الفقه الشافعي بدار الكتب المصرية تحت (رقم /٥٢).

- الخصائص، لابن جني، تحقيق الشيخ/ محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط٤/ ١٩٥٢م
- خصائص الحروف العربية ومعانيها، د. عباس حسن، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا ١٩٩٨م.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، لغانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، ط١/ ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر.
- دروس في موسيقى الشعر العربي – العروض والقافية، لصادق أبو سليمان (جامعة الأزهر)، مطابع الهيئة الخيرية، غزة، ط٢ ١٤١٥ /١٩٩٥م.
- سر صناعة الإعراب، لابن جني، تحقيق/ مصطفى السقا وآخرين، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.
- سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي.
- الصوت اللغوي، لأحمد مختار عمر.
- علم الأصوات، لبرتيلمالمبرج، تعريب ودراسة د/عبد الصبور شاهين، ط/ مكتبة الشباب القاهرة /١٩٨٥م.
- علم الأصوات العربية، لمحمد جواد النوري وآخرين، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان ط١، ١٩٩٦م.
- علم الأصوات د/كمال بشر.
- علم اللسان، لأنطوان مبيه نهاية كتاب النقد المنهجي عند العرب ص٤٢٩ (د– ت)
- علم وظائف الأصوات اللغوية – الفونولوجيا، لعصام نور الدين، دار الفكر اللبناني، بيروت ط١ ١٩٩٢م.
- فن الإلقاء، لمحمد عبد الرحيم، دار الفكر، عمان، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
- في البنية الإيقاعية للشعر العربي، لكمال أبو ديب، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢/ ١٩٨١م.

- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين، دار القلم، القاهرة ١٩٩٦م.
- لسان العرب، لجمال الدين بن منظور المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط/١، وطبعة بولاق ١٩٨٢م.
- اللغة بين القومية والعالمية، د. إبراهيم أنيس، ط/ دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠م.
- اللغة، لفندريس، تعريب/ عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص،ط/ مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،١٩٥٠م.
- المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد، تحقيق/ محمد حسن ال ياسين، بيروت، ١٩٩٤م.
- مرشدة المشتغلين، للطبلاوي.
- المدخل إلى الأصوات العربية، لغانم قدروي الحمد، دار عمار، عمان ط ١/ ٢٠٠٤م.
- معاني القران وإعرابه، للفراء، تحقيق/ عبد الجليل شلبي، ط/ المكتبة العصرية، صيدا، لبنان ١٩٧٣م.
- المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي عبد الجبار، قومه/ إبراهيم الإبياري،ط/ وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر (د–ت).
- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ط/ دار الثقافة، الدار البيضاء (المغرب) د– ت، ط/ مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢/ ١٩٧٧م.
- مناهل العرفان في علوم القران، للشيخ/ محمد عبد العظيم الزرقاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ٢– ١٤٢٤هـ/٢٠٠١م.
- موسيقى الشعر د. إبراهيم أنيس، ط/ دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٢م.
- الموسيقى الكبير، للفارابي، تحقيق/ غطاس عبد الملك خشبة، ط/ دار الكاتب العربي، القاهرة (د–ت).
- النشر، لابن الجزري.